حلم ورقة

مجموعة قصصية

مايسة الألفي

إهداء

إلى كل إنسان حاول إضافة شيء ينير للبشرية طريقها، حتى وإن لم يصل إليه.
إلى كل فقير حلم حلمًا ولم يستطع تحقيقه.
إلى كل إنسان رفع شعلة التنوير، رغم عدم مقدرته وقلة علمه.
إلى زملائي الذين شاركوني الحلم من الوسط الأدبي ، وخاصةً معلمي وملهمي الأديب والمدقق اللغوي" محمد حامد".
إلى عائلتي التي تدعو لي بالخير وتثق بقلمي أكثر مني.
إلى كل هؤلاء .. لا تيأسوا يومًا ، وحاولوا تحقيق مرادكم مهما كلفكم الأمر.

نظرة

(كادت نفسها أن تنتحر وراءه؛ فقد كان لها كل شيء في الحياة. كانت تروي به عطش سنينها الباهتة المليئة بالحرمان، إلا أنه خان العهد ، تخلى عنها كما تتخلى أم عن وليدها، بعد موت زوجها ، لتسعد بشبابها مع غيره ، تاركةً خلفها وليدًا بائسًا ، فقد الأب والأم في آن واحد.

اعتراها كل هذا عندما قرأت منشورًا له على حائط صفحته الشخصية، يعلن فيه عن قرار خطبته من ابنة عمه. فجأة تذكرت شيئًا مهمًا . أسرعت لحجرتها الوردية التي طالما حفظت عهد ودهما وغرامياتها معه حين كانت تنفرد بحاسوبها لتراسله عبر صفحتها الشخصية، وحيث كانت الصديقات تحسدها على اهتمامه الملحوظ بها. جلست تنظر في صفحته الشخصية ، تتأمل نظرته في صورة بروفايله،لأنه يعشق تجديد صورته باستمرار، حيث كانت تقرأ عينيه دون سؤال .

رأت نظرةً حائرة لا تدل على شيء بعينه ، إلا أنه بها بعض الأمل أنه سيعود لحبها. انتظرت كثيرًا ،حتى أضاءت رسائله بالضوء الأخضر، لتعلن عن وجوده الآن. فكرت كثيرًا قبل أن تكلمه في منشور الأمس الذي أعلن فيه عن قرب موعد خطبته بابنة عمه، ولكن كرامتها حاربتها ونازعتها فيما تبقى لها من أمل لحفظها.

" اهدئي يا أسيل لا تكلميه . دعيه هو من يبدأ بالحوار ويبرر لي ما حدث" حدثت نفسها في عصبية.

رفعت خصلات شعرها الكستنائي التي غطت وجهها من طأطأة الرأس، و مسحت بأناملها القطنية الرقيقة دموعها التي غطت حروف لوحة الحاسوب. عادت للوراء بمؤشر الماوس لتسترجع عباراته الرومانسية الرشيقة، التي طالما تغنى بها على مسامعها، ليتراقص قلبها طربًا وتشعرها بقيمتها الأنثوية ، الشابة المتمردة المميزة التي خطفت زعيم كتاب الجيل، الكاتب المميز الذي يعلمه الجميع، والتي كانت تفوز

في مسابقاته التمرينية على الكتابة . فتارة يتغامز الأصدقاء أنه يحابيها لأنه معجب، وعاشق لجمالها ليس إلا، وأنها غير موهوبة في الكتابة لتنال إعجابه الذي أشعل الغيرة في قلوب الجميع ،وتارةً أخرى يجاملونها وينافقونها.

وجدت أمامها كلمة "أحبك" .. مسطورة ثلاث مرات. تذكرت لحظة اعترافه لها. ازداد بكاؤها وحسرتها .

أخذت تمرر الكلمات حتى ترسل له برسالة عتاب ، وكبرت من صورته لتلمح نظرة عينه بقوة في صورته الجديدة . تحلت ببعض الأمل وتعللت بأنه ربما خطبته جاءت ضغطًا من أهله عليه ، وأنه قريبًا سيتخلص من ابنة عمه ليتزوجها هي، كما وعدها في رسائله . أخذت تكتب معاتبةً مرة وغاضبةً مرة ،حتى زاد عدد كلمات رسالتها كثيرًا عن المعتاد. قررت الإرسال وليحدث ما يحدث ، فقد ضاع الحب بخبره المعلن الذي دمر شرايينها حزنًا وألمًا وشمت بها الكثيرين ، وجعلها تبحث فيمن هناه من الأصدقاء وتقرأ مباركتهم وشماتتهم بحسرة تسرعت من حركة الماوس لترى كل التعليقات . رغم أنها توجعها وتبكيها ،لكنه الانتحار غير المباشر، وضرب النفس حين تصدق حبيبًا دون اتفاق رسمي بين والدها ووالده ، فالعيب عيبها.وحتمًا سيقول أنها فتاة ساقطة تعشق الشباب عبر الفيس بوك، وتصدق وعودهم الواهية .حتمًا إنه ليس الأول في حياتها وأنه قد سبقه الكثير، لذا هي لا تصلح لتكون زوجة صالحة تصون بيته . لكن ماذا عنه ؟! أليس هو الأخر شابًا غير منضبط ، يواعد الفتيات ؟! أم وحدهن الفتيات من يعاقبن في مجتمعنا الشرقي العقيم الذي يمجد الرجل مهما أخطأ ؟! وفي خضم صراعها النفسي ومحاولة لومه وعقاب نفسها بما يكفي رأت أن الوقت يمر، ويجب عليها أن تفعل شيئًا. فجأة ظهر منشور كتابي حديث على صفحته، تسابقت خلجاتها وعيناها بسرعة الصاروخ الموجه للعدو لرد الهزيمة النكراء ، توقعت أنه خبر محزن آخر يعلن فيه عن قرب زواجه ليقضي على روحها وجسدها معًا. لكنها رأته يعلن عن اختراق وسرقة صفحته الشخصية،وأنه غير مسؤول عن أي منشورات نشرت أمس أو أي رسائل وصلت لأصدقائه . فصرخت مهللة في حجرتها يا لوجعي الذي تجرعته منذ إعلان الخبر المزيف ،لقد مرت عليّ الساعات دهرًا ، أشابت شعري من فرط ألمها . أخرجت زفيرًا حارًا يصهر جليد العالم الثلجي الذي يشوي الضلوع ويهدر دماء القلب ألمًا فأسرعت لإلغاء رسالتها واستبدالها بثلاث كلمات (أحبك الآن أكثر).

رسائل حائرة

كحلم وردي يتراءى للعاشقين رأته يتراقص حولها. في مقهى الزهرة الحمراء رأته ذات ليلة ، يرتشف قهوته الساخنة ، كأنه أمير من الحواديت ظهر لكي ينقذها من كابوس الوحدة الكئيب. أهو الحب الذي يباغتنا بألاعيبه ؟ أيعقل أن تنجذب له من نظرة عابرة ؟ للحب طرق عديدة ، وأغلبها غير منطقية ؛ فتارة نقابله في الأتوبيس ، وتارة في مستشفى عام ،وتارة أخرى في كازينو كما هو الحال.

كان رداؤها الأزرق يلمع كصفحة سماء مرصعة بالنجوم. جلست وراءه كي تتابع ما يقرؤه على صفحته الشخصية، ولكي ترصد اسمه ، وتبادله الرسائل، علها تطفئ نيران قلبها التي اشتعلت . فاجأها خاطر أن يكون مرتبطًا، فيضيع حبها في لحظة. استطاعت أخيرًا أن تلمح اسمه ، "أحمد سامي" بحروف العربية ،هو ليس هوائيًا إذًا كشباب الفرانكو آراب. لم تلمح هيئة الصورة جيدًا، غرقت في حلمها به. رأته فارسها وخطيبها . حلمت حتى بأبنائها منه ، وكيف ستعاملهم. وفي غمرة تطلعها إليه ، سقط فنجان قهوتها على ردائها الأزرق ، فانتبه لما حدث ، وقام يساعدها ويمسح عنها خجل الحدث . ابتسمت له برقة ، وشعرت كأنما نزل القمر من سمائه وزارها. في ثقة قدم لها نفسه وقد بدا كالتائه في سحر عينيها الخضراوين :

- أحمد سامي

كانت مشغولة بالنظر إلى يديه لتتأكد من عدم ارتباطه . ابتسمت له بحرارة عندما وجدت يده خاوية من أي شيء يثبت ارتباطه. ردت في تلعثم :

- شهد .. اسمي شهد

رنَّ هاتفه بغتة لينهي حوارهما قبل أن يبدأ . وقبل أن يتبادلا أرقامهما الخاصة وموقعهما على شبكة التواصل الإجتماعي . تهدجت أنفاسها حزنًا لما حدث ، لكن عزاءها أنها عرفت صفحته الخاصة . قررت أن تراسله. وبالفعل قامت بالبحث عن

صفحته الخاصة ، لتجد أسماءً كثيرة باسم أحمد سامي. أخذت تبحث عن صورته لعلها تتأكد من أنها الصفحة المنشودة . لكن رنة هاتفها هى الأخرى أخذتها من رحلة البحث .

ذهبت لشراء دواء أمها .وكعصفور صغير تائه عن أمه ، يتعلق بأي شيء قد يوصله لها ، قضت سهرتها تبحث ، لعلها تجد صفحته . كانت تهدهد خوفها بأنه سيأتي غدًا فتعلم منه ضوابط صفحته الخاصة .في اليوم التالي ذهبت لتقابله في نفس الموعد الذي قابلته فيه أول مرة ، لكنه لم يأتي. انتفضت من فرط صدمتها ، لم تدر ماذا تفعل.

هي لا تعلم شيئًا عنه سوى اسمه ، ولا تعلم غير ملامحه ،حتى حروف اسمه لم تتحقق منها ، كما لم تتحقق من صورة الخلفية .هي تحفظ ملامحه جيدًا، لكن شأن الصور يختلف من شخص لأخر؛ فقد يكون واضع صورة نجم هندي أو أمريكي كما يفعل الشباب. أخذت تحدث نفسها في حيرة ، حتى خطر ببالها

الشغوف به أن تراسل كل من اسمه أحمد سامي ، وتخبره بما حدث بينهما في تلك المرة ، لعله يرد بشيء يشعل الأمل داخلها. وبالفعل كتائه يتعلق بأي أمل أو كغريق يتعلق بقشة بعثت لهم جميعًا نفس النص ، وانتظرت الرد منهم جميعًا ، ونسيت تمامًا أمر المعاكسات ؛ فلهفة الحب طغت على أفعالها .

وجاءها الرد من كل الصفحات ، أن نعم أنا أحمد سامي الذي قابلك في ذالك اليوم. بكت من صعوبة الأمر، لكنها تذكرت ما حدث من سكب القهوة على ردائها الأزرق ، فردت عليهم برسالة أخرى طلبت من كل منهم أن يروي ما حدث بينهما في تلك المرة الوحيدة ، فلم يجبها إلا واحد فقط بالإجابة الصحيحة .ركزت معه لتخبره أنها تود مقابلته للتأكد ربما تكون صدفة . ذهبت كطفل صغير يبحث عن لعبته الضالة ،تتخبط أحلامها وآمالها ، تتساءل أهو أم شخص آخر صادفته الإجابة الصحيحة. وصلت إلى الكازينو في موعدها ، فوجدته وتأكدت أنه هو الحبيب الذي خطف قلبها وجعلها تائهة تلهث وراء خبرٍ عنه، يجلس في مكانة السابق ، ينتظرها هو الآخر. لكنها وجدت مجموعة من الشباب يبحثون عن اسمها في الحضور؛ فقد نسيت أنها ذكرت اسم المقهى وموعد المقابلة للجميع . راحت تشرح لأحمد الحقيقي ما حدث حتى لا يظن أنها بنت لعوب . ابتسم لها وقال :

تعالي معي عندي مقهى أخر بديع سنتقابل فيه بعيدًا عن المعاكسات وفر الاثنان للهروب مما حدث.

تفسير الشعراوي

أنا ثناء، بائعة خضار. أجلس بقفصي على ناصية شارع "العهد الصغير" ، إنه حارة صغيرة لكننا نلقبه بشارع لأنه كبير بالنسبة لباقي الحواري. أتلحف السماء في عز البرد ، وأواري جسدي بنجومها الزاهية ،لتنير سمائي ببضع الأحلام ، تخفف وطأة الهموم عني .

أنا غريبة عن شارع العهد، أسكن أنا وأولادي الصغار في حجرة صغيرة بحارة "اشكر ربك" ، التي تضم كثيرًا من الفقراء.

منذ يومين كنت جالسة أمام قفصي الذي أبيع فيه ، فوجئت بورقة من فئة المائتين جنيه ملقاة على الأرض،أطارت عقلي من الفرح حينها.

كنت أقرأ في تفسير الشيخ الشعراوي الذي ورثت حبه عن جدي ، فأنا امرأة ثلاثينية لم أعاصر الشيخ الشعرواي إلا في طفولتي فقط، حيث كنت أرى جدي ومن بعده أبي ينهلون من علمه الذي زين حياتنا خشوعًا وتقوى، بالإضافة إلى أني أحاول أن أكمل تعليمي، فأنا حصلت على شهادة الإعدادية فقط حتى الآن ، إلا أني مثقفة جدًا وأستعير الكتب من عم "عبد الرحمن "بائع الكتب القريب مني .هو رجل طيب في سن والدي، لا يرفض لي طلبًا. عندي موهبة كتابة القصص لكن أولادي وفقري يقفون كحجر عثرة في تحقيق حلمي . تذكرت حلمي حين رأيت هذه الورقة ذات المائتي جنيه، فكرت أن أستغلها لأكتب بها قصصي على الكمبيوتر، رغم أنها لن تكفي لأرسلها إلى أحد الجرائد أو دور النشر المجانية ، فينشرونها لي، و أرتقي في سماء الشهرة، لكن ماذا أفعل وأولادي لا يتذوقون طعم اللحم إلا في المواسم والأعياد.

عندي ثلاثة أبناء، بنتان وولد، وهو الأكبر بين أبنائي .. "محمد" في الصف الخامس ، وضعت فيهم كل أحلامي.

- يا إلهي ..ماذا سأفعل في عقاب الله لي إذا أخذتها ؟ إنها سرقة، وما فائدة تفسير

الشعرواي الذي توارثته عن جدي وأبي ،وأكاد أن أكون حفظته من لكثرة ما قرأته؟

بكيت ساعات من ألم التفكير وتأنيب الضمير. بعدها بيوم تذكرت أن السيدة خديجة كانت تشتري من عندي خضر ولمحت معها هذه الورقة المالية فهل أسألها؟ أم أحقق حلمي ؟أم أطعم أولادي بها وأشتري لوازمهم؟ صحيح أنها مائتين فقط ، لكنها ستسند حالنا ، فهل أسأل الجميع عمن فقدها لعلهم يكافئوني بربعها حتى؟

بحثت في الورقة لعلي أجد علامة مميزة، دققت النظر، حتى وجدت قلبًا مرسوما وبه رقم هاتف محمول. هللت فرحًا " يا فرج الله سأتصل بهذا الرقم أو أتخذه علامة لمعرفة صاحب الورقة المالية" .

ورحت أسأل الجميع، فلم يقولوا علامتها . لابد أنها كانت تذكارًا لأحدهم أو هدية عيد ميلاد مثلًا. اتصلت بالرقم المكتوب على الورقة النقدية ، وصراخ أولادي يناديني . محمد وعدته أن أشتري له اللحم يوم الجمعة ،وسارة وعدتها أن أشتري لها كتبًا خارجية لتذاكر فيها ، أما نسمة فكانت تود شراء فستان جديد لتحضر به حفلة عيد الأم القادم بمدرستها. وفي خضم صراعي انتصر تفسير الشعراوي عليّ وصوته الرخيم في أن جزاء الله أكبر وأن مشاكلي كلها ستحل عندما أرد المال لصاحبه.

أجابني على الهاتف صوت ناعم ولهجة أرستقراطية ، تدل على غنى وترف صاحبها ، ففرحت وفكرت في المكافأة. حلمت أنها ستكافئني بمائة جنيه على الأقل ؛ فصوتها يعلن عن طيبة قلبها . أخيرًا سأشتري اللحم وأعطر بيتنا برائحته. أخبرتها عن الورقة المالية ،ففرحت بشدة لأنها تذكار من خطيبها ، هكذا قالت.

أتت الفتاة لمقري ، حيث قفصي المميز المتهالك ،وإذا بها تحتضنني وتستفسر عن أحوالي. شرحت لها ظروفي ، وعرفتها بحلمي وأولادي ،فإذا بها تضع يدها في حقيبتها وانا أتلهف على المئة جنيه المكافأة لكنها فاجأتني بمبلغ غريب لم أتصوره إطلاقًا، ألف جنيه ،وليس ذالك فقط بل إنها وعدتني بهذا المبلغ كل أول شهر، لتساعد أسرتي فحالي وفقري بادي للفطين. ووعدتني بالزيارة كل أول شهر لتعطيني المبلغ. فقلت في نفسي : يا بركة تفسير الشعراوي ، لولاه لكنت صرفت الورقة ولم أحظ بكل هذه الورقات. عدت إلى أولادي أبشرهم بأكثر مما حلموا به ،ومعي اللحم والفاكهة وكل ما كان يلزمهم ، وأني سوف أنشر قصصي وأصبح كاتبة مشهورة، لكن أولادي التفوا حول لفة اللحم يتجاذبونها ويشتمون رائحتها ،فقلت لهم:

لن نشتاق للحم بعد اليوم.

رقصة الوداع

تتذكر "نغم" أول لقاء بينهما. كان مثل النسيم في حر أغسطس وكالدفء القوي في برد يناير. كانت وقتها تعيش حلم الترقي الجامعي ، أن تصبح أستاذة جامعية يشار لها بالبنان ،فهذا حلمنا جميعًا حينما نكون في الصف الأول الجامعي ،خصوصًا إذا فاجأنا التنسيق بعكس ما نتمنى كي نسعد بحياتنا. لكن الظروف تلقي بنا في أماكن بعيدة وغريبة نحاول أن نتعايش معها، حتى نتعود عليها وتصبح جزءًا منا. من منا لمْ يحلم يومًا بكليات القمة وظل يرسم أحلامه على جدران الوهم حتى سقطت فوق رأسه ،كي توقظه من عبث أحلامه . و من منا ليس له كلية يتمناها بعينها ،حتى لو كانت من كليات القاع كما يلقبونها ،المهم أن له هدفًا مختلفًا عن القطيع يحاول السيروراءه .

كانت نغم مع القطيع ،تحلم بكليات القمة ،لكن الحظ أهدى إليها كلية الحقوق، وعليه راحت تفكر في حلم الترقي الجامعي. وقتها لاحظت فتاةً بعينها ترافق الأساتذة في كل مكان .تساءلت في نفسها ، لمَ تلهث هذه الفتاة وراء الأساتذة بهذه اللهفة الشديدة؟ أليس الأستاذ مكلف بشرح كل شيء في محاضرته؟!!

لكنها فهمت الأمر بعد ذلك ،حينما أصبحت الفتاة معيدة بالكلية. عرفت أن هذه الفتاة كانت تدفع ثمن ترقيتها في مجتمع فاسد ، يبيح الحرام ،بل ويشرعه، وحتمًا لكل أستاذ طريقته الخاصة في أخذ ثمن الترقية . لقد سرقت هذه الفتاة حلمها في أن ترتفع ويحترمها المجتمع. فالاحترام في بلادنا لمهن معينة، وما عداها ي يعرضه لمهانة المجتمع وازدرائه. وكما يتنعم في بلادنا السارقون ، بوقاحة تتنعم الزوجات المخلصات أيضًا بالخائنين. أصبحت نغم كالقطة تشم رائحة السمك، وتحاول تتبعه بكل دقة ولهفة ، لتكشف خيانة زوجها. كان قد مضى على زواجهما خمس سنوات ، وقد أسفرت السنين فيهم عن مرض "نغم" بالكبد ، الأمر الذي جعل شريف زوجها يلجأ لمريم صديقتها ، ليبث لها شكواه في الأول ، ثم حبه بعد ذلك. فمنذ أن مرضت

نغم وشريف ذائغ العينين على مريم صديقتها ، يحاول توثيق خيانته بالزواج منها.
دخل "شريف" الحجرة على نغم ،وتلعثم وهو يقبلها . حتى أنه أخطأ وناداها باسم مريم. فأجابته نغم :
-من مريم هذه يا شريف ؟ أترغب في أن ألد لك بنتًا أخرى غير ابنتنا "رنيم" ؟ لكن اسم مريم قديم يا حبيبي ،وأنا أعشق الأسماء الحديثة.
ابتسم شريف بخبث ، وغير الموضوع كي يسرع لموعده في الكازينو مع مريم . يصرخ ضميره من براءة زوجته وسذاجة أحلامها ، لعلها خطوة أولى ليتنحى عن زواجه بمريم . وفي غمرة صراعه مع ضميره قال:
-نعم حبيبتي ،ستشفين قريبًا، وستنجبين لنا أطفالًا كثر، لكني الآن عندي موعد مع صديق . أستأذنك لأذهب..
لملم شريف هندامه وتأهب للخروج مسرعًا ،فقاطعته الخادمة "فاطمة" ، فجأة لتخبره عن رغبتها في زيادة راتبها ،لأن غلاء الأسعار يأكل كل شيء. فأجابها شريف وهو مسرع :
- لا عليك يا فاطمة ،أعلم أنه تضاعف عملك بمرض نغم ، لكن انتظري حين أعود، فأنا على عجل الآن من أمري .
وأسرع ليقابل مريم .
مشى يتراقص مغنيًا ومتعطرًا بأفخر أنواع العطور الفرنسية ، ناسيًا أمر نغم مؤقتًا، يحاول تسكين ضميره حتى ينعم برفقة مريم بعض الوقت . وصل للكازينو، فوجد مريم تنتظره بلهفة. يتمايل رداؤها الأحمر المميز، ويلمع في وضح أنوار الكازينو الزاهية. يفوح عطرها ليغطي المكان ،وتستقبله في دلال :
-أهلا شريف ، كيف حالك؟ ولمَ تأخرت؟
فأجابها ببرود :
- كنت أحاول الهروب من نغم والخادمة
- ألم تنتهي من أمر نغم ؟ لمَ تأخرت في طلاق هذه المريضة؟
أجابها بحزن ،مستجيبًا لصحوة ضميره:
- إنها زوجتي ،ولا أقدر على تركها ، وهذا آخر لقاء بيني وبينك . لقد مللت من خيانتي لها وهروبي منها كل ليلة. لم يعد لدي أعذار كي أقولها
ازدادت مريم حقدًا وغيرًة ،وفكرت في افتراس صديقة عمرها وزميلة الدراسة. وأتاها خاطر في هذه اللحظة .. لمَ لا أتصل بنغم الآن لأخبرها بموعدنا هنا ،فتأتي

ملهوفة وتهدم علاقتها بزوجها . أعجبتها الفكرة. تعللت بأنها ستذهب للحمام لإصلاح زينتها ، وعند الحمام انحرف كالثعلب لتطلب من النادل أن يخبر نغم بخبر خيانة زوجها ، وتدس في جيبه ورقة بمائتين جنيه. وأعطته رقم هاتف نغم . ثم عادت لشريف مبتسمة ابتسامة المنتصر.

-علينا يا شريف أن نرقص سويًا رقصة الوداع ، طالما قد قررت النهاية.

فرح شريف بموافقتها على إنهاء مهزلة الخيانة .وذكرها بأن نغم صديقة عمرها . تلعثمت مريم وعادت لرشدها برهة، لكن شرها طغى عليها ثانيةً ، فدعت شريف لرقصة الوداع ، لكي تأتي نغم فتراهم يتراقصون سويًا .وأخذت تتمايل مع الموسيقى الهادئة، وتتلفت ناحية باب الكازينو.

لكن شيئًا من صحوة الضمير روادها ، تذكرت زميلتها المريضة،

وذكرياتها معها كما تذكرت مرضها ،وكيف ستكون صدمتها حينما تراهم. أيام جميلة من المرح قضتها معها ،عمرًا آخر من اللهو والمشاركة في كل شيء ،الدراسة والحياة.

انحرفت في رقصتها لناحية الباب الخلفي حين لمحت نغم عند الباب. ووجذبت يد شريف قبل أن تراه نغم. فاندهش من حركتها

- ألم تقولين أنها رقصة وداعنا ، لمَ خرجتِ قبل انتهائها ؟

أسندت جسدها على الحائط، وبكت بحرقة شديدة، لتتشوه زينتها من دموعها وتصبح كما البلياتشو. حاول شريف مسح دموعها ، وكأنه قرأ ضميرها الذي استيقظ فجأة. حاول لملمة شرفة الذي ألقاه في بحر العار دون التفكير في عواقب وعواصف هذا البحر.

-أعلم أنك طيبة يا مريم ، ولن تهون نغم عليك، ولن ننساكِ .ستكونين صديقة العائلة الوفية لنا.

أسرعت مريم إلى عربتها، وصار هو الأخر في اتجاه عربته ،نادمًا على ما جرى ، محاولًا ترتيب أفكاره ،لتعويض نغم عن خيانته.

شجرة الموز

كنسيم البحر في حر الصيف، وكفرحة عصفور عاد لصغاره ببعض الطعام بعد عناء يوم طويل ، يكون إحساسي وأنا أروي حديقة "سيد ساهر" ، صاحب هذا البيت الذي أعمل فيه عند والده منذ صغري ، والآن ورثت العمل معه. كم تزداد سعادتي حينما أروي شجرة الموز هذه ، وأفرح كثيرًا بثمارها. أعلم أن شجر الموز يهوى كثرة الماء لهذا أحاول في كل مرة إشباعها.

منذ يومين وأنا ذاهب إليها لكي أرويها هى وبعض الزهور الجميلة التي طالما أسعدتني برائحتها ، صعقت حينما مددت بصري ولم أجد لها أثرًا. ثرت على الجميع حولي، فقالوا لي إن " سيد ساهر" لابد أنه اقتلعها ،لأنها تحجب المرور، أو أني قد نسيت موقعها ، وعليّ أن أبحث جيدًا في الحديقة فهي كبيرة وواسعة. رحت أرش وجهي ببعض الماء من الصنبور كي أفيق من صدمتي . أشد في شعري وأقول لمَ لم أخبر سيد ساهر أنني أعشق هذه الشجرة ، وأن عليه ألا يقطعها لأنها سر سعادتي.

كنت قد زرعتها بيدي وأنتجت ثمارها على يدي ، وكثيرًا ما أسعدنا موزها فهى رغم أنها وسط الزهور وليس هناك سوى شجر الزينة إلا أنها تنتج موزًا كثيرًا.

تعللت بأني حتمًا سأجدها في مكان أخر ، وظللت أبحث حولي ، وفي أعماق الحديقة، فلم أجد لها أي أثر، فحزنت. ربما هى موجودة وأنا لا أراها. شاب شعري من صدمتي .ابتلت ملابسي المتسخة بطين الحديقة ، لكني لم أشعر بها ولا بالبرد من حولي رغم شدته. وإذا بمحمد الطباخ

يشدني من يدي ، ليغير لي ملابسي حتى لا أمرض من شدة البرد، وأنا أعانده وأهذي بأقوال عجيبة ، أقول كيف سأعيش دون ابتسامتي التي تغمرني وأنا أنظف حولها؟ أو غسل أوراقها كيف سأروي الحديقة دون أن يبللني الماء من قطراتها؟

كيف سأكل موز من شجرة أخرى دونها وأنا الذي كانت كل أغاني الطرب تأتيني

وأنا أراعيها، أغاني أم كلثوم العظيمة وروائع عبد الوهاب؟

ترى هل هرمت وسأموت مثل هذه الشجرة ؟

الموت اللعين يسرق منا سعادتنا . لكني أعلم أن الموت هو مرحلة ثانية للحياة، وليس نهاية للحياة كما يقولون، ترى هل انتقلت الى جوار الله في جنته تنتظرني لكي أنعم بها هناك كما كنت أنعم بها هنا؟

محمد الذي لا يهمه هذياني وصراخي ، راح يدفئ غرفتي بنيران المدفأة، ويغطيني بغطاء ثقيل لا تستطيع معه أنفي التنفس. قمت بسحب الغطاء من فوق أنفي كي أتنفس. لأعطاني محمد شرابًا دافئًا كي أنام بعض الوقت، ريثما يأتي "سيد ساهر" ليطمئنني على شجرتي الحبيبة. أيكون قد خبأها في مكان ما؟ لكن كيف؟!! إنها شجرة وليست لعبة كي يتسنى له رفعها. ورحت أخيرًا في ثبات عميق حلمت فيه أني وجدت شجرتي ورويتها، وأكلت من ثمار موزها المميز، ودندت بأغاني الست أم كلثوم في سعادة . تناسب إلى إذني بعض الهمسات فاستيقظت من نومي على صوت محمد الطباخ، يحدث زوجته بصوتٍ خفيض كي لا أسمعهم ، بأنه لا توجد عندنا أشجار للموز أصلًا وأنني في سن الشيخوخة ، أهذي كل فترة بعشقي لشجرة موز غير موجودة من الأساس.

السيدة ريناد

تبدو غرفة سيد حسام هادئة بضوء خفيض. يقول محاربًا حنينه:

حبيبتي الرقيقة وزوجتي الحبيبة، أعلم أنك تسمعينني وتشعرين بي جيدًا، أنتظرك كالمعتاد في شرفتي .حتمًا ستأتين إليّ بقهوتي بعد قليل . لا أحد يعلم أن الرجال كالجبال في الحزن. منذ رحلتِ وأنا أنتظرك ،كي

تدخلين عليّ بثوبك الأرجواني البديع. كم كنت أعشقك في هذا الثوب!

كم أعشق ابتسامتك وعطرك المميز الذي عرفته منذ أول مرة قابلتك فيها في كازينو ريتاج ، أتذكرين؟ لمَ الموت يا حبيبتي؟ إنه يأخذ منا أغلى شيء، إنه كالكابوس يأتينا دومًا في نومنا ليزعجنا . أين سأراكِ وكيف سألمسك وقد فنى كل شيء؟

ما هذا إني أشم رائحة عطرك الآن، أنا قطعًا لست أحلم. إنها هناك ناحية شقة جارنا .

نزل سيد حسام ليتتبع رائحة زوجته "ريناد" . شيء ما يحدثه أنها حية لم تمت . وعلى أثار العطر المميز سار. حتى أنه من فرط لهفته خرج دون أن يغلق باب شقته.

طرق باب جارهم ،وفجأة سمع صوتًا داخل شقته ، فظن أن هناك سارقًا ما ، فعاد مسرعًا قبل أن يفتح الجار شقته ، ليجد أن القطة قد تسربت إلى شقته فأحدثت هذه الجلبة. فعاد لجاره قبل أن يغلق الباب.

-ماذا تريد يا سيد حسام ؟ .. سأله الخادم

- إنني وحيد كما تعلم منذ ماتت زوجتي ،وحال بيتي لا يسر، ألا أجد عندك بعض من الملح؟

أشفق عليه الخادم ثم ستأذنه ليأتي له بالملح، وعرض عليه خدماته، إن فشكره حسام .

وبينما ذهب الخادم لإحضار الملح ، تسرب حسام إلى الداخل ، ليلمح شعر زوجته ، تجلس في الصالون . فصاح فرحًا "هي.. هي ريناد ، وهذا شعرها"

وبينما هو سارح في نعومة شعرها ، فاجأته يدِ أمسكت كتفه ،وإذا بالخادم يسأله : كيف تسربت الى الداخل يا سيدي؟

فتلعثم وشرح له الأمر، فأخبره الخادم إنه سيخبر جاره السيد أحمد بغرضه في مقابلة هذه المرأة ، وأنه مجرد خادم لا يتدخل في خصوصيات سيده.

انتظر حسام بالخارج على أحر من الجمر سارحًا في جمال زوجته

الذي اشتاق إليه ،ورائحة عطرها النفاذ الذي يشعل لهيب قلبه عشقًا ،ويذكره بلقاءاته مع زوجته وحواراته العذبة معها. وبينما هو سارح ،أتاه الخادم ليخبره بالموافقة على طلبه في مقابلة هذه السيدة. دخل مسرعًا في خطاه، فما هي إلا لحظات ويقابل زوجته .

-ترى هل لم تمت؟ وهل من وجدناها ميتة في حادث لم تكن زوجتي ؟

حقًا إن معالمها كانت غير واضحة، لكن ما هي إلا دقيقة ويقابلها.فلينتظر القدر ، ولعله خير.

هكذا حدثته نفسه .

فإذا به يقابل سيد أحمد، ومعه السيدة المنشودة . قدمها له قائلا:

-إنها السيدة ريناد أختي .

تغير لونه من السرور والفرح إلى الدهشة والحزن ، صدم حسام بملامحها إنها لا تشبه زوجته إطلاقًا ، لكنه نفس العطر ولون الشعر. لامس يدها كي يسلم بفتور ودهشة.

إدمان

تمتليء الحياة بالكثير من الهموم التي تلهينا عن بلوغ السعادة ، تجعلنا مثقلين بهمومها إلى حد كبير. لكني عندما أرى من حولي من المبتلين والفقراء أشعر أن الله قد أنعم علي بنعم كثيرة ، فقط الشيطان وطمع النفس يشغلوننا بأمور كثيرة ،ويجعلونا نتوسد أنفاس الحزن ،والنظر لنعم الغير. وأحيانا نتخذ من همومنا موطنًا نسكنه ويسكننا، حتى يصبح حزننا عادة نتنفسها دائمًا.

في كل يوم خميس تطرق بابي إحدى المتسولات ، تدعى "عائشة" . لها طبيعة صوتية معينة، هي نفسها طبيعة كل المتسولين كما لاحظت ، وهي مط الصوت والمسكنة ، حتى يصعب علينا حالهم ، فنعطيهم شيئًا . أحيانًا كنت أسمعهم وهم يطرقون بابي، وأحيانًا لا يصلني من صوتهم شيء. أنا محاسبة في إحدى الشركات الحكومية ، وعندما أكون في البيت لا أجد متسعًا من الوقت للثرثرة مع أحد.

لكني رغم أني محاسبة، إلا أن غلاء الأسعار جعلني أعطي دروسًا خصوصية للمرحلة الابتدائية للجيران والمعارف، حتى أساعد زوجي. وقد أتقنت مناهج المرحلة الابتدائية بجدارة ، حتى ذاع صيتي بين الجميع .

في مساء الخميس طرقت عائشة باب منزلي طلبًا للمساعدة. استغربت من حالها ؛ لأن زوجها يعمل ويوفر لهم حاجاتهم ، هذا ما علمته من الجيران ، فلمَ تتسول ؟

لكني أشفقت عليها، فأنا وزوجي نعمل ،ومع هذا لا يكفينا راتبنا . دسست يدي في حقيبتي والتقطت بعض النقود لأعطيها لعائشة . وأثناء بحثي عن النقود سألتها :

- لمَ تتسولين يا عائشة وقد علمت أن زوجك يكفيك؟

تهربت من الإجابة بعض الوقت ، ثم أخبرتني أنها تملك من الأولاد خمسة ، كلهم بالمدارس ، ويصرفون من المال الكثير على الدروس الخصوصية.

لامست يدي جنيهات فضية في حقيبتي فأعطيتها خمسة جنيهات ،وودعتها . وأغلقت الباب كي أنهي عمل المطبخ التي لا تنتهي.

جرت الساعة حتى أتى موعد العشاء اليومي لي أنا وزوجي وأبنائنا .رتبنا منضدة الطعام ، ووضع أبنائي الخبز، ريثما آتي لهم بأطباق الجبن والبيض واللانشون المميز الذي يعشقونه .وجلسنا على العشاء نتسامر ونثرثر ، فتذكرت عائشة المتسولة ، حينما ذكرني "آسر" ابني بموعد درسه في الرياضة الذي أدرسه له بإتقان ، حتى تميز وسط زملائه . قلت لزوجي والأولاد:

لمَ لا نساعد عائشة، وأقوم بإعطاء دروس خصوصية لأولادها حتى أرحمها من عناء التسول ؟

فرح زوجي بهذه الفكرة وفرح أولادي أننا سنرحم عائشة من التسول البغيض الذي يتعبهم ويذلهم ، وقررت أن أحدثها في الأمر عندما تأتي يوم الخميس . وراح أولادي يشترون لهم الكتب الخارجية التي لا يخلو درس خصوصي منها، فأنا أعلم مراحل تعليم أولاد عائشة ، لذا كنا على دراية بالكتب المطلوبة .

وفي يوم الخميس أخبرتها بأنها سوف ترتاح من عناء التسول ، واتفقت معها أنها في الخميس القادم ستأتي لي بأولادها ولن تقوم بالتسول بعد اليوم. وانتظرت وعدها لي ، ومر الخميس ولم تأتِ لي بأولادها.

فاستغربنا وخشينا أن يكون شيء مكروه قد حدث لها . وفي يوم الخميس طرق أحدهم باب شقتي ، ففرحت وفرح أولادي وتوقعنا أنها هي. أسرعت لفتح الباب، وفوجئت أنها ليست عائشة ،ولكنه موظف القمامة، أتى لأخذ أجره الشهري .

لمحنا عائشة على باب جارتنا ، ففرحنا لأنه لم يحدث لها مكروه، لكن اندهشنا لأنها لم تأتِ لشقتنا كعادتها .

نادينا بعلو صوتنا عليها ، فردت جارتي علينا وأخبرتنا أنها لن تأتي بأولادها للدروس ، وأنها سوف تستمر في التسول . وأطلبت منا لا نكلمها في الأمر وألا نتعب أنفسنا ؛ لأنها قد أدمنت التسول . ودعت لأولادها بأن يكون الله في عونهم ، لأنهم حرموا من التميز الدراسي ، ولن يرتاحوا من رؤية أمهم تتسول .

اختبار

كحلم ليلة دافئة ، تأتي الآمال وتهرب منا. لن أطيل في عتابي لها فهى أبية لا تهدأ لأحد، ولا تعطي زمامها لبشر.

أنا "باسل" ، شاب شارفت على الثلاثين من عمري ، دميم الوجه، قصير القامة ،ودائمًا منذ طفولتي كان الجميع يسخر من دمامتي وقصري. أنا لست قزمًا كما تظنون ، لكن دمامة وجهي جعلت قصري شيئًا ملحوظًا . كنت أختبئ خلف نافذة حجرتي في حين أترقب ملامح الأطفال في سني فأشم رائحة وسامتهم تزكم أنفي ، وتصيبني بثورة داخلية ، تجعلني أحزن وأبكي بحرقة على حالي . أتذكر جيدًا حدثًا مهما طالما هربت منه، حينما كان يدعو لنا الكبار ونحن أطفال بالزواج ، كانت تتلعثم ألسنتهم عند الدعاء لي ، ولا أعلم أهو خوف على مشاعري أم رأوا استحالة فوزي بنعمة الزواج .كانوا يؤكدون لي أنني سأتفوق علميا، وأني سأرتقي أعلى المناصب ، وكأن دمامة خلقتي ستكون حافزًا لي على التميز. لكن كيف وملامحي تقف عثرة في تحقيق حلمي في أي عمل ؟

كدت وأنا طفل أصيب ولد بالتشوه حينما عيرني بقبحي أمام الفتيات .ثرت ورحت أعض بأنيابي وجهه ،وأدس أظافري بقوة في خدوده، لأحفر التشوه على وجهه ، فيعيش عذاب التشوه مثلي ،حتى لا يعيرني مرة أخرى . لكن عم "حافظ " البائع أنقذه من يدي ،واحتضنني وخفف عني ثورتي . قال لي كلمة ثبتت في صميم قلبي بأن الله سوف ينتقم لي ممن يعيرونني ، لذا لا يجب أن أثور هكذا أو أحزن ، كما علمني أن الثقة بالله تجعلني الأجمل في عيونهم، وأن عليّ أن أحمد الله أنني رجل ؛ فالرجل لا يعيبه شكله.

لكني عندما كبرت عرفت أن الشكل له دور كبير في كل شيء في مجتمع تحكمه المظاهر، فأنا إلى الآن لم أقبل في أي عمل، رغم تميزي في كلية الإعلام، إلا أن المظهر له واسطة كبيرة في هذا المجال . وليس لي واسطة كي أعمل في تخصصي ، فأبي يعمل

نجارًا في إحدى الورش القريبة ،ويملك من الأولاد خمسة غيري ،وأنا أوسطهم. جميعهم توظفوا وتزوجوا حتى من يصغرني سنًا .

منذ عام تقريبًا لمحت إعلانًا في إحدى الصيدليات عن حاجتهم لموظفين للعمل بها بأي شهادة . فرحت فرحةً ممزوجة بالحزن ، وتقدمت متوقعًا الرفض لسوء خلقتي. لكن ساورني الأمل ، وقلت أن بيع الدواء والعمل كصيدلي لا يفرق معه الشكل . وكانت المفاجأة عندما قبلني دكتور "مدحت" صاحب الصيدلية براتب محترم ،وكلمته عن ملامحي ، فابتسم وقال ما دخل ملامحك في بيع الدواء ، ونصحني أن أتوكل على الله . وعندما أخذت راتبي الأول اشتريت فاكهة لأسرتي، أبشرهم . كما اشتريت لأمي أقراص السكر، فقد كانت تطلبها مني . أخذتها أمي واحتضنتني قائلة :

-إنك تستحق أكثر من ذلك ، فأنت خريج إعلام ،ولست شهادة متوسطة كزملائك في الصيدلية .

لكني من فرحتي قبلت رأسها ، وقلت لها إن الشهادة شيء نأخذه لنتعلم كيف نسير بالحياة ، وليست للعمل بها فقط ، فلا يجب التقيد بها وذهبت إلى حجرتي أنفرد بحاسوبي الذي اشتراه لي أبي حينما تفوقت في الثانوية العامة. اليوم كونت صداقات كثيرة، ، وأكثر أصدقائي من الفتيات، لكني لا أجرؤ على وضع صورتي على بروفايلي ،كي لا ينفروا مني. كنت أحاول العيش بعيدًا عن ملامحي ،وشبكة التواصل لا يهمها الملامح ؛ فأغلبها زائف.

في تلك الليلة أرسلت إلي فتاة طلب صداقة. كانت معجبة بصورة البروفايل فراحت تتخيل صاحبها. ومن حسن الحظ أنها كانت صورة لممثل هندي وسيم ،لا أتذكر اسمه، لكني وجدت الشباب معجب بها فوضعتها . دخلت أمي وأنا أتصفح صفحتها كي أقبل صداقتها، ونظرت لصورة الصديقة وهى تضع كوب النسكافيه بجانبي ، وراحت تداعب خدي قائلة:

-لا تحزن يا باسل ، أنا أتوقع أنك ستتزوج جميلة الجميلات ، فقد رأيت لك رؤيا صادقة .

ابتسمت لها وقبلت صداقتها . "زهرة حسن" ، هذا هو اسمها . ولم تمض إلا دقيقة واحدة حتى راسلتني على الشات ، كأنها كانت تنتظرني.

-أهلا أستاذ "باسل" . شكرًا على قبول صداقتي

-أهلا بحضرتك

-هل من الممكن أن نتعارف؟ عرفت أنك خريج إعلام

-نعم أنا خريج إعلام
-وهل تعمل في الإعلام؟
- للأسف لا أملك واسطة وكيف دخلت الإعلام وأنت ليس لديك واسطة.
- حلمي في أن أعمل مذيع
- أبشريا باسل ، فعمي يعمل صحفيا في جريدة الأهرام
- وهل يعني ذلك أنك ستتوسطين لي ؟ أنت بالكاد تعرفيني !
- أعرفك بنفسي .. أنا "زهرة حسن" مهندسة معمارية ، وهذه صورتي
..... جاري التحميل
- انتظري يا زهرة كيف ترسلين لي صورتك بهذه السرعة إنها منشورة في البروفايل ، ألم ترها ؟ أم أنها ليست واضحة؟
- نعم بالفعل، لكن كلامك قد ألهاني معذرةً
- إذن هل ستريني صورتك كي أتوسط لك؟
وهنا رحت في تفكيرعميق ،هل أخسرها بإرسال صورتي القبيحة؟
ترى هل أرسل لها صورتي؟
قلت لها:
- لكني ليس لدي صور محملة
- واضح انك اخواني اخواني ؟! لا أبدًا ، لكن ملامحي لن تعجبك
- لماذا؟ اطمئن ستعمل مذيعًا بالإذاعة وهذا لا يتطلب وسامة صارخة.
فرحت أحمل لها صورتي ، واعتمد على الله إنها فتاة راقية وحتمًا لا يهمها الشكل. وهي فرصة عمل ذهبية .
.....جاري التحميل.....
.....تمت الرؤية.....
(لا يمكنك إرسال رسالة أخرى في هذه المحادثة)

كما توقعت. لكنها قاسية جدًا ، على عكس ما بدا عليها من لطف. نظرت في المرآة، ورحت أهذي بصوت عالي
حتى استيقظ أبي وأمي، ودخلوا غرفتي يهدئونني ، وأنا أسرع لألقي بنفسي من النافذة . صرخت أمي والتف حولها الجيران ،وأتى جارلنا ليحققني بحقنة مهدئة . رحت في نوم عميق ،وتغيبت على أثارها يومين من الصيدلية .

تحاملت على نفسي في اليوم الثالث، كي لا يطردني دكتور مدحت ،فهو الوحيد الذي قبلني. وفي المساء اشتقت لصورة زهرة فرحت أراجع حواري معها وحدث ما كنت أخشاه فقد تعلقت بها . يا ويلي ترى أهو الحرمان أم حب ؟ لكنها لا تستحق حبي ، ولم أحاورها إلا قليلًا ، كما أنها كانت قاسية جدًا علي . لمَ لم تمهد قبل أن تحذفني أو تتركني معلقًا بدلًا من هذا العذاب؟ جعلت منشوراتي كلها عن الظلم وفداحته ، وعن قبح القلوب . وصممت أن أواجه كل أصحابي بملامحي ،وأمتحنهم جميعًا ، لأرى هل سيقسون علي مثلما فعلت زهرة الجميلة . وبالفعل حملت صورتي وتوقعت سخرية الجميع مني، وضربت بسخريتهم عرض الحائط. يجب أن أكون قويًا . لمَ أضع صورة هذا الممثل الوسيم الذي لا أعرف عنه سوى وسامته ؟ .....جاري التحميل.....

وراح أغلبهم يستفسرون عن الصورة .

-من هذا يا باسل ممثل زنجي؟

هدأت من روعي وأعلنت لهم في قوة غير مسبقة إنها صورتي . وراح أغلبهم يجاملني بحب إنك رائع يا باسل ، وروحك جميلة ولا يهم ملامحك.

لكني بعد أقل من ساعة تفحصت عدد الأصدقاء والصديقات وجدت أنهم تحولوا من ثلاث ألاف إلى ألف واحد، أغلبهم رجال. ابتسمت وقلت لابد أن أواجه العالم ولا أتوارى. يجب أن أكون الأقوى .ودققت النظر فإذا بطلب صداقة يأتيني مجددا من زهرة . حدقت النظر فوجدتها ترسل إلي برسالة اعتذار عن سخف تصرفها ، وأنها كانت حمقاء ومتسرعة وأنها لامت نفسها كثيرًا على سخافة تصرفها . فأرسلت إليها :

- سأكون أكرم منك ،ولن أضع لكِ الحذر كما فعلتِ معي، لكن لن أقبل اعتذارك أبدًا.

ولا صداقتك مرة أخرى. وراحت تتوسل إلي ، وتقول إنها تحبني وتتمنى الزواج مني ولن تكون سخيفة بعد اليوم ،لكني رددت عليها بكل حكمة وحذر:

- لقد سقطتِ في الاختبار،ودعيني للأيام تداويني . ربما أعيدك لصداقتي ذات يوم.

رائحة الموت

كم كنت أخاف جدًا على أبي بعدما تخطى الخمسين من عمره. هذا السن هو بداية أمراض مزمنة لا تشفى أبدًا مثل السكر والكبد وغيرها . وبالفعل أبي مريض بالسكر والكبد ، وإن هذه الأمراض كلها تحمل رائحة الموت، و تظل تنخر فيهم حتى يأتي موعد موتهم . حينما أقرأ خبروفاة رجل عجوز أهرب إلى غرفتي ،أنظر لصورة أبي الذي تخطى الخمسين ، وأبكي بحرقة.

تزوج أخي منذ عامين ، وينتظر تخرجي من الجامعة ، كي يتهافت علي الخطاب كما يقول. أظل حبيسة الغرفة أفكر، ماذا لو مات أبي في نوبة من نوبات السكر؟ صحيح أنها لم تأته قبل ذالك، لكن هل سأظل أبتسم؟ لا أخفي عليكم أن زميلتي "رنا" حذرتني من التفكير بهذه الطريقة ، كي لا يغضب الله مني، قالت لي :

-اهدئي يا "إنجي" فالموت علينا حق .قد كتبه الله لننتحول لمرحلة أخرى نحاسب فيها ، وليس نهاية الحياة كما يظن الجميع .

أعلم أن رنا محقة ،وأنها قوية الإيمان ، وأني يجب أن أذهب لطبيب نفسي. لكني أعود مرة أخرى أقول لنفسي إن الجميع يخشى الموت، نحن جميعًا وقعنا معه ميثاق شرف لخوفنا وحزننا عليه .

منذ يومين رأيت أبي في الرؤيا ميتًا، صرخت فوق فراشي ، أهذي كالمجنونة إن أبي مات ، وصوتي يملأ المكان . حمدت الله أني استيقظت قبل أن يسمعني أبي و أمي ، حتى لا يحزنوا لهذه الرؤيا . وفي الصباح سألت إحدى الصديقات، قالت إن عمر أبي طويل جدًا، وهذا تفسير الرؤيا. فرحت لدقيقة واحدة ، ثم تفكرت ، وماذا بعد العمر الطويل حتمًا سيأتي الموت .لابد أن العلماء غفلوا هذه النهاية المؤلمة لنا جميعًا ،ليتهم يجدون حلًا لكي لا يأتينا الموت. لكن كيف وكل العلماء يخشون الله ويخافون البحث عن سر الخلد .

في المساء هربت من العشاء على منضدة الطعام حتى لا يجمعني مكان مع أبي

فأرى رائحة الموت في شعره الأبيض وتجاعيد وجهه، وحتى أتحاشى ملامح يده حين يعطيني طبقي، فملامح الكبر منقوشة على يده. أخذت طبقي من المطبخ وانفردت بنفسي أتناول عشائي أمام حاسوبي، أبحث في كل المواقع عن سر التخليد . لابد أن الغرب الكفرة كما يسمونوهم قد كشفوا سر الخلد . وظللت أبحث عن صفحات للتخليد ، فلم أجد إلا صفحات الملحدين. الذين يسخرون من كل الأديان. دخلت أحد الجروبات الملحدة، وطرحت عليهم سؤالًا : هل بحث الملحدون عن سر الخلد كما بحثوا عن الله فلم يجدوه؟

فسخروا مني ، وقال بعضهم إن الموت هو نهاية كل شيء موجود، لكن لا تقلقي ، فالعلماء الملحدين يبحثون عن التخليد منذ اكتشفوا عدم وجود إله ، فلا تحزني. لكن كيف لا أحزن وقد يكتشفون سر الخلد بعد موتي.

عبرت لهم عن خوفي فنصحوني بأن أتميز في عملي واحفر اسمي ، وأنه متى اكتشف سر التخليد سيرجعني العلماء به، فالعلماء الملحدون ليس لهم رادع إلا سعادة الإنسان وحمايته.

انتفضت حينما طرق أبي باب حجرتي . أسرعت بغلق الحاسوب حتى لا يراه أبي ، ويظن أنني سألحد والعياذ بالله.

اقترب أبي مني وسألني لمَ لمْ أعد أجلس معهم على مائدة الطعام. تحاشيت النظر في عينيه كي لا يفهمني، وكي لا أرى ملامح الموت عليه . قلت له وأنا أنظر لكتابي :

-أنا أذاكر يا أبي ، فأنا أحلم أن أكون معيدة في كلية الحقوق حتى تفرح بي. ابتسم أبي وقبل جبيني ، وأخبرني أني سأتفوق أكثر إذا آنستهم وجلست معهم. لم أجد بدًا من النظر إليه . حاولت أن أتناسى رائحة الموت تلك. وسألت نفسي لماذا لمْ أخف على أمي من رائحة الموت تلك ؟ ألأنها لم تظهر عليها بعد؟ أم لأن أبي حنون؟

كنت قد سمعت أن من قرب موته يشعر بدنو أجله، يودع الجميع ويترك وصيته، حتى صفحته الشخصية يترك إيميلها وكلمة مرورها للمقربين .إذا لم الخوف ؟ إن أبي لم يفعل ذلك . لكني أبحث عن الخلد لتخليدنا جميعًا وليس أبي فقط.

وفي الصباح لم أذهب إلى كليتي كالعادة ، بل ذهبت لشيخ الجامع القريب منا، وسألته عما يدور في رأسي ، وعن خوفي من الموت اللعين . ربت على كتفي وقال إنها وساوس الشيطان ، وسوء ظن من نفسي الأمارة بالسوء ،وطمئنني ، ونصحني أن أحضر دروسه وأقترب من الله أكثر فأكثر. وحثني علي زيارة الطبيب النفسي ، ومراعاة أخذ رأي العلم. عندها فقط تنفست السعداء، واستغفرت الله . وعدت الشيخ أني

سأذهب إلى طبيب نفسي يعالجني من الوساوس، وأني سأتقرب إلى الله ، كي يشفيني من هذا المرض النفسي .

وعندما رجعت إلى البيت سمعت صراخًا يأتي من منزلنا. تخوفت من رائحة الموت ، لعلها أخذت أبي . أسرعت لأطمئن عليه، فإذا به ملقى على الأرض ،ويتفحصه الطبيب .ازداد خوفي من الموت ،وصممت ساعتها على زيارة الطبيب النفسي في المساء، سواء مات أبي أم لا . لكن بلطف الله فاق أبي، فقد كانت غيبوبة سكر شديدة ، لطالما خفت منها كما يخاف الطفل الأشباح . لكنها أتت مفاجئة لنا في أول زيارة لها ويا ليتها تكون الأخيرة.

في المساء سارعت إلى صديقتي رنا التي تسكن قرب بيتنا ، واتفقت

معها كي تأتي معي للطبيب النفسي، وبالفعل ذهبنا إلى طبيب نفسي مشهور في أخر شارعنا الكبير. أجلستنا الممرضة حالما يأتي دورنا نظرت حولي أتفحص المرضى وأحمد الله على حالي ، إن مرضي هين بالنسبة

لهم. نظرت على الحوائط وجدت صورًا كثيرة ، بعضها للطبيب وبعضها لزهور ومناظر طبيعية ،لكي تبعث في المرضى الراحة النفسية حتى نتيجة الحائط عليها صورة طيور تقف فوق زهرة بيضاء تشرح النفس.

وفجأة نادتني الممرضة كي أدخل ، فإذا به رجل خمسيني عليه ملامح الموت ذاتها . ففزعت عندما شممت رائحة الموت. فطمئنني، وأمرني بالجلوس، كي أشرح له ظروفي. أخذت رنا بيدي ، وأجلستني وسقتني شربة ماء من كوب موضوع على منضدة في وسط الحجرة المطلية باللون الوردي الجميل. وأتاني صوت الطبيب الحنون مستفسرًا عن مشكلتي. فهدأت.

لأول مرة أنظر إلى ملامح رائحة الموت دون خوف. رويت له كل شيء، فضحك بصوت عالي ،حتى ضحكنا جميعًا معه في موجة ضحك. وقال لهذا ارتعدت عندما نظرتِ في وجهي، لقد كان شيخك الطيب على حق في عرضك علي. لكن لا تقلقي ، كلنا نفكر بهذه الطريقة أحيانًا، ونهاب الموت ، وأغلبنا يحلم بالخلد، لكنك تضخمين الموضوع جدًا لدرجة مرضية . سأعطيك حبوبًا مهدئة ستشفيك من وساوس رائحة الموت، لكني أنصحك أن تخلدي نفسك في عملك . حينما تصبحين محامية تبحثين عن العدالة وحقوق الإنسان ، كوني رسول العدل في كل مكان،حتى تصبحي عالمية، حينها ستهرب منك هذه الوساوس. طالما وضعت لكِ هدفًا يخلد اسمك . و شفيت أخيرًا من شبح رائحة الموت بتعاطي الدواء وحضور دروس شيخي العظيم. ومن

ساعة شفائي وأنا أجلس مع أسرتي، ولا أخاف من رائحة الموت أبدًا . حقًا لقد كنتُ مريضة وضعيفة الإيمان ،لكني عندما انفردت بحجرتي صممت على إنشاء صفحة بعنوان سر الخلد . نجحت صفحتي في غضون أسبوع. حقًا إن الباحثين عن الخلد كثيرون.

عريس دليفري

التف الجميع حول سما ،زميلتي منذ أيام الجامعة ، و نتقابل كل شهر في حديقة عامة منذ تخرجنا من كلية هندسة منذ ثلاث سنوات. أغلبنا من الجميلات . ظننت أن سما تريهم تعليقات الشباب على منشوراتها ،فهي مهووسة بإعجاب الذكور بها. رغم تخرجنا من كلية الهندسة الا أنها مولعة بإعجاب الجنس الآخر بها . البنت هي البنت ، تفكيرها لا يتغير بتغير دراستها . أما أنا فأشغل نفسي بعملي دائمًا .لكنها فجأة نادتني بعلو صوتها

- تعالي يا صفا لكي أبحث لكِ عن عريس في صفحة "عريس دليفري" الشهيرة، ألم تسمعي بها؟

غرقت في موجة ضحك ، أهو دجاجة مشوية أم طبق بيتزا حتى يأتينا دليفري! وتركتهم يبحثن في صخب وثرثرة ، وانزويت أحدث موسى الذي أحبه منذ الجامعة، وانتظره حتى يتقدم لي. عندي العريس ، ولست بحاجة لأفكر في صفحة عريس دليفري الشهيرة . أتى صوته الحنون متغيرًا على غير العادة . إنه إلى الآن يبحث عن عمل . قال إنه وجد عملًا في دولة الكويت، وأن زميل والده قد أرسل في طلبه كي يعمل معه .غضبت وصرخت فيه:

- ومتى ستأتي لتخطبني ؟ ألم تخبرني أنك ستتقدم بعد حصولك على عمل؟ كيف ستفعل ذلك؟ هل ستنزل في أقرب وقت لتطلبني ؟

وابتسمت لعلها فكرته . خفض صوته كالمنكسر:

-إني أحلك من وعدي يا صفا ، لأن زميل والدي عنده ابنة ستكون هى زوجتي . هذا وعد أبي له في مقابل عملي . استندت على جذع شجرة، وسقط الهاتف مني . لم أتمالك نفسي ، فأسرعت سما لتسندني ،ولتعرف ما حدث . ساعدتني على القيام ، وأخذت تحاول الرد على موسى، تستفسر عما حدث . فأخبرها:

- كوني بجانبها ، لقد أخبرتها أني سأتزوج قريبًا وأحللتها من وعدتي. وسرت إلى البيت، تسدني سما . تماسكت حتى وصلت لباب منزلنا ، ثم سقطت على الأرض من فرط الصدمة . ولم تخبر سما أهلي بما حدث . قالت إنني صدمت في عربة ، لكن رأي الطبيب أعلن أنها صدمة نفسية. راح أبي يسأل عما صدمني ، لم تجيب سما ، قالت لابد أنها تشاجرت مع زميلتها في الحديقة. لم تشأ سما تعكير صفو العائلة ، وإثارتهم علي،وأرادت أن تخفف عني. وظللت في الفراش شهرًا كاملًا حتى تعافيت، وعدت إلى عملي .

قالت لي سما:

-أعلم أنك مصدومة لكن هوني عليك إنه ليس جديرًا بك ، هو صائد فرص. بكيت كأنما لم أبك منذ زمن . وعاودت سما الكلام معي :

- أعرف أنك تخافين من شبح العنوسة مثلنا ، لكن صفحة عريس دليفري فيها الحل . سأرسل لهم طلبك وصورتك وسوف أبشرك في غضون أيام بخطيب ثري ومميز. إنها صفحة مضمونة . أنا وجدت طبيب أسنان ، وتقدم لي عن طريق الصفحة .ولن تخبري أحدًا، حتى أهلك . ستقولين أنه أتى عن طريقي ، فأنا بالفعل مخطوبة عن طريقها . صحيح أنه يكبرني بعشر سنين وغير وسيم لكنه منحني لقب امرأة بل ولقب زوجة . إن مجتمعنا يحترم الزوجة ويبغض العوانس . وصحيح أننا جميلات ، لكن ليس بالجمال وحده يأتي الزواج ، ألا تذكرين جارتك ندا التي بلغت الأربعين ولم تتزوج رغم جمالها الفاتن؟ وزميلة والدي التي قاربت على المعاش؟ وكلهن جميلات جدًا.

رفضت الأمر بشدة ودفنت نفسي في التميز العملي ، غير منتظرة لخطيب يأتيني مع الأيام . إنني أرفض الزواج بهذه الطريقة ، الوحدة أفضل من زواج مهين أو غير ناجح. لمَ المرأة غير مقدرة بعلمها وتميزها وعملها؟ لمَ لابد من مرافقة رجل كي يثبت أننا جديرات بالحياة الهانئة الهادئة؟ مجتمع عقيم يسد أمام الفتاة باب التميز والأمان!

وبعد يومين من كلام سما تحديدًا وأنا ذاهبة لحجرة المدير، سمعت الموظفين يتهامسون حولي ، أنني عانس وتخطيت الثلاثين دون زواج، ويجب الترفق في التعامل معي حتى لا أثور عليهم . حزنت وغضبت بشدة كأن عقرب لدغني ، حتى أني تحدثت مع مديري بعنف غضب مني فطردني من مكتبه. لكن زملائي توسطوا لي عنده ، حتى سامحني على غضبي وقدر ظروفي.

عدت إلى البيت أتحاشى نظرات الجميع ، التي فيها ألف سؤال وسؤال، وأهمها

، هل تقدم لكِ عريس أم ما زالت الأمور كما هى راقدة ومملة ؟ إن العمر يمر، ولن أقدر على الإنجاب بعد الثلاثين ، هذا رأي الأطباء . الحمل خطير ومتعب في هذا السن . وماذا بعد الأربعين ؟

انفردت في غرفتي ، ونظرت في المرآة ، وجدت التجاعيد تظهر حول عيني ، وشعرات بيضاء تطل بين خصلاتي السمراء. صرخت وقلت إنني لا زلت صغيرة، وكل من تقدموا لي كبارولم أجد عريسًا مناسبًا. وفجأة سمعت أمي تنادي من خلف الباب ، وتسألني أن أفتح لكي تطمئن علي، لكني هدأتها بصوت مرتفع وأخبرتها أنني بخير، وأطفأت ضوء الحجرة إلا من ضوء التابلت. رحت أعبث في صفحتي ، وأنشر منشوراتي، وإذا بي أكتب في البحث (عريس دليفري).

مظاهر

توفى عني زوجي منذ عامين ، وترك لي ابنة مخطوبة ، وولدين صغيرين في المرحلة الإبتدائية . أما الابنة الكبرى فقد تخرجت من كلية الحقوق، وخطبت لعريس أتى معجبًا بتميز أخلاقها وجمالها. فرغم كوننا فقراء ، إلا أن ستر الله يظهرنا بمظهر يغري الناس ويدعوهم لاحترامنا .

منذ مات زوجي ومعاشه لايكفي، فكرت أن أبحث عن عمل ، ورغم أنني كبرت لكن لا زال يدب في الرمق. سألت جيراني عن عمل ،حتى ولو خادمة ، إلا أن كل طلبات العمل كانت بعيدة عن منزلنا، لهذا فكرت في مصدر رزق أخر يسد جوع أولادي ويستر ابنتي بالزواج .

أنا قوية أبية ، لا تغريني المظاهر أبدًا، لكن ابنتي تهتم بها كثيرًا .أخبرتها أن المظاهر خادعة مثل السراب يحسبه الظمآن ماءً ، لكن عند اقترابه ينكشف المستور، ويضيع كل شيء . نظرت لحظيرة الدجاج الكبيرة فوجدت أني أملك أكثر من خمسين دجاجة. ساورتني الأفكار، لم لا أبيع البيض وهو كثير عن حاجتنا ؟

وفكرت أن أشتري خبزا من المحل القريب مني بسعر أقل من السوق . اتفقت مع صاحب المحل على ذلك ،وقلت له إنني سوف أصنع به ساندوتشات، وأبيعها أمام مدرسة النور الابتدائية القريبة مني .أي أن هذا الخبز سيكون مصدر رزقي. وافق صاحب المحل بوعدٍ مني أن أشتري منه دائمًا ولا أستبدله بمحل أخر. وصارت الفكرة مكتملة أمامي .

في المساء رجعت ابنتي ملهوفة علي كعادتها ، واندهشت عندما وجدتني أسلق البيض كله ولا أبيعه كعادتي للبقال القريب منا. بشرتها أنني وجدت عملًا ، وأنني سوف أبيع الخبز بالبيض المسلوق أمام مدرسة النور، فصاحت في غاضبة بعد أن ألقت كتبها على الأرض:

- كيف تجرئين يا أمي على تنفيذ هذه الفكرة ؟

- وما العيب في ذلك يا ابنتي؟ بيع السندوتشات عمل شريف.
- شريف ! لا دخل لي بالشرف يا أمي، لكني أنظر إلى مظهرنا الإجتماعي أمام خطيبي.
- خطيبك لن يقول شيئًا إذا كان يحبك حقًا
- سيقول يا أمي ، وحتما ستفسخ أمه خطبتنا ، إنها شديدة
- سأخبر خطيبك عندما يأتي لزيارتنا ، وحتمًا سيوافق لأنني سوف أقوم بتجهيزك من ثمن بيع السندوتشات
- لا لا أرجوكِ يا أمي لا تخبريه سيكون عملك سرًا
- كيف يكون العمل سرًا يا ابنتي؟ حتمًا سيعلم في يوم ما ، وهذا سيغضبه
- أرجوكِ يا أمي لا تخبريه حتى نتزوج، بعدها سأخبره أنا بكل شيء. إن زواجي قريب.

ومرت الأيام بسلاسة، أكسب رزقي اليومي وأشتري باقي لوازم عرس ابنتي، بعد أن استجبت لطلبها رغمًا عني؛ فأنا لا أحب خداع أحد.

وعندما زاد رزقي ،فكرت في أن أدعو خطيب ابنتي وأسرته على العشاء، فالحال قد تعدل وأصبحت أملك رزقًا وفيرًا، فلم لا أدعوهم. وفعلًا اشتريت لحما ودجاجًا وفاكهة ،ورحت أصنع الوليمة لخطيب ابنتي، وتغيبت على أثرها يومين من العمل .

اقترب موعد حضورهم ، واستعددنا جميعًا وارتدينا ملابس العيد استعدادًا لتشريفهم، وأتى خطيب ابنتي ومعه أمه وأخته وابنها الصغير. استقبلتهم بالترحيب والفرح ، وفجأة جذبني الطفل الصغير ابن أخته من ردائي ، وراح يسألني عن تغيبي عن عملي ،وقال لي أنه بحث عني ليشتري سنوتشات البيض اللذيذة لكنه لم يجدني . حاولت أن ألهي الجميع عن كلام الطفل ،إلا إنه أعاد السؤال ، حتى سألوني عن أمر بيع السندوتشات. تنهدت وزفرت زفرة حارة ، أخرجت فيها كل غيظي من هذا الأمر. لمْ أجد بدًا من إخبارهم بأني أبيع السندوتشات أمام مدرسة النور . تغيرت ملامحهم مئة وثمانين درجة ، وراحوا يعطونني درسًا في المظاهر الاجتماعية ، وأنا أحاول إقناعهم بعملي . أما ابنتي فدخلت تبكي في حجرتها، وتندب حظها. استئذن الجميع قبل تناول العشاء ، وما هي إلا أيام حتى فسخوا الخطبة. حزنت ابنتي كثيرًا ،وراحت تفكر في أمر عنوستها جراء بيعي للسنتدوتشات. أما أنا ففرحت لأنني تخلصت من هذا العريس البغيض ضعيف الشخصية.

مرت علينا أيام كئيبة ؛ لحزن ابنتي ، حتى تناسينا أمر فسخ الخطبة، لكني لم أتخل عن عملي . وفي يوم وأنا عائدة من بيع السندوتشات استوقفني شاب وسيم ، وراح يسألني عن عملي ، وأنه فخور بكفاحي جدًا، ومعجب بابنتي ،ويود خطبتها

. فرحت به ، وسألته عن عمله.أخبرني أنه طبيب أسنان من أسرة متوسطة . وعند عودتي أسرعت إلى حجرة ابنتي لأخبرها أنها لن تكون عانسًا بعد اليوم ، وأخبرتها بأمر العريس الطيب الذي يفخر بعملي ويحترمه ، والأهم من ذالك أنه لا يقدس المظاهر الإجتماعية.

رحيق

تجلس رحيق في حجرة ذات ضوء خفيض و تحدث نفسها:

" أهدني قلمًا لا زهرة ؛ لكي أسطر قصة حبنا ؛ فهي كفيلة بإنبات بستان زهور نادرة. كم عشقت فيك الطيبة والبراءة الحالمة ! وكم بنيت لي من قصور كقصور الجنان! لكني صحوت من حلمي لأجدك تنعم في حضن امرأة أخرى ! ماذا فعلت لك حتى تطعنني بخنجر حبنا المسموم بخيانتك النكراء؟! لطالما قرأت قصة حبنا على مسامع العاشقين، كي أتباهى بحبك الفريد أمامهم. أتذكر أول يوم عرفتك فيه ؟ كنت صديق صديقتي رنا على الفيس بوك . رشحتك لي كي أضيفك لقائمتي ، قالت لي إنك كاتب مميز، بارع في فن المنشورات على صفحتك الخاصة، وطلبت مني متابعتك ،وما هي إلا دقيقة بعد إضافتي لك حتى راسلتني على صفحتي مرحبًا بي، وشاكرًا لي على إضافتي لك . كان حوارك عذبًا جريئًا، جذبني إلى عالم أخر، عالم الأميرات حين يأتيهن فارس الأحلام ،يحارب الكون من أجلهن . وعندها بدأت حديثك قائلًا:

- مرحبًا بك يا رحيق على صفحتي. لقد تصفحت يومياتك ووجدت أسلوبك راقيًا ومميزًا، إلى جانب أنكِ محترمة ومهذبة.

- أشكرك جدًا أستاذ أحمد على إطرائك

- لا بالعكس أنا لا أعرف المجاملة ، لكن أحب أن أقول لكِ أنني دخلت صفحتك منذ شهر، وكنت أتابعها طوال هذا الشهر. وعندما انجذبت لأسلوبك طلبت من رنا الصديق المشترك بيننا أن تقترح إضافتي عليك

- بالفعل حدث ذلك ، ولولا أنك ترشيح رنا لما قبلت إضافتك

- من الواضح أنكِ تثقين برنا

- فعلًا أثق بها جدًا ؛فهي زميلة دراسة وعمل

- عذرًا هل اسم رحيق هو اسمك الحقيقي أم اسم مستعار؟

- أنا إنسانة واضحة ،لا أحب الاستعارة والتواري

- اسم جميل حقًا ومعبرعن رقي إسلوبك

- أشكرك جدًا . صورة البروفايل أيضًا هي صورتي الحقيقية. تشاجرت أمي معي كثيرًا عندما قررت وضعها ، لكن أبي وافق على الفور لأنه يثق بي

- أخاف أن أعبرلكِ عن إعجابي فتظنين إنها مغازلة

- بل عبربطريقتك ، إنك رجل محترم كما بدى لي

- أشكرك جدًا ، و أعتذرعن المقاطعة لأني على موعد مع صديق لي، سوف نكمل حوارنا عندما أعود.

وهكذا توالت حواراتنا يومًا بعد يوم ، حتى انجذب قلبي تجاهك ،كطفل وليد يبحث عن حضن أمه لينعم بالأمان ، أو كمعزوفة لبيتهوفن فرحت برقي المعجبين وفهمهم لموسيقاها الراقية . حاربت إحساسي بحبك ، حتى طلبت مني رقم هاتفي في ليلة شتوية باردة ، كنت أنت كدفقة دفء دخلت قلبي لتؤنسه. قاومت طلبك حتى شجعتني رنا على إعطائك رقمي . خفق قلبي بشدة حينما سمعت صوتك لأول مرة . كما توقعته ، مناسب تمامًا لملامحك الوسيمة.

قلت لي يومها أن صوتي ناعم وراق كما توقعته . استمر حوارنا لمرات عديدة ، وطويلة المدة، حتى طلبت منك أن نتواصل على "الواتس أب"، حتى لا أكلفك، وأني سوف أنزله خصيصًا لأجلك على حسابي الشخصي. ابتسمت أنت بحرارة لأني أخاف عليك وعلى مالك ، وبعدها كنت أسهر معك نتحاور. كنت تخفف عني عناء العمل. كنت دوائي الذي ظللت أبحث عنه طويلًا حتى أهدتني إياه السماء في لحظة جافة قاتلة . استسلمت تمامًا لك ، ثم كانت المفاجأة الكبرى ، حين فتحت صفحتي يوم 3_2_2014 الساعة العاشرة مساءً لأجد رسالة نصها :

- رحيق.. يا جنة الله على الأرض، فكرت كثيرًا قبل أن أبعث لكِ بهذه الرسالة ، لكن رقي أخلاقك شجعني . منذ عرفتك وأنا أحلم بزواجنا، عشت فيه أيام وليال ، لذلك الآن أطلب يدك ، فهل توافقين على شاب متوسط الحال مثلي لا يملك إلا راتبه؟

عندها خفق قلبي مرات ومرات ، واضطربت ما بين الخجل والفرح والخوف ، ولم أجبك بشيء . اختفيت عنك لمدة يومين . كنت أحاول إقناع أهلي بك ، لكن أهلي راحوا يعقدون لي الأمور، ويفسرون حبك وطلبك للزواج بأنه مجرد تسلية عابرة . كادوا يمنعون عني الفيس بوك نهائيًا ، لكني قاومتهم بشدة ، وظللت أنا ورنا نحاول إقناعهم ، حتى وافقوا وارتبطنا في جو أسطوري رائع. رغم كيد الحاقدين الذين حولوا منعنا

من الزواج بحجة أن عيوبك خطيرة لأنك رضيت بارتباطنا عن طريق الفيس بوك ، لكني صدقت قلبي وحاربت من أجل نصرته . ومر على زواجنا الآن عامان ، أثمرا بطفلٍ رائع الملامح. أفكر في حالة عندما يكبر، ويعرف أنك رجلٍ خائن لأمه .

شوقي إليك يحاربني ، لكنها كرامتي تأبى العودة . ليتني صدقت تحذير الجميع لي بالزواج منك . لكن ليس العيب في الفيس بوك ،إنما هي أخلاقك التي تبدلت فجأة . أقسمت لي مرارًا أنك لم تخني وأن من شاهدتها معك يومًا هى زميلة عمل فقط ، وحلفت لي بكل الأيمان ، وبعد مرور الوقت صدقتك، وعدت لك . لكني أخاف أن يحمل القدر لي خيانة أخرى . ترى هل أنا كثيرة الشك وغير طبيعية ؟ أم أنك بارع في مواراة الخيانة؟ وهنا دخلت الطبيبة حنين متسائلة :

- ماذا تفعلين يا رحيق؟ ألا زلتِ تكتبين ؟

- نعم سأظل أسطر قصة حبنا ليتعلم منها الكثيرون

- لكنها خيال في خيال . لا تعيشي في الخيال يا رحيق .عيشي في الواقع. كل حياتك على الفيس بوك . صرتي تتخيلين حبًا وزواجًا لم يحدث.

- صحيح أن ما ذكرته خيال في خيال ، وأني لا زلت عانس في الخامسة والثلاثين، لكني أعيش فيه، وأتنفسه ، فهو ملاذي

- هوني عليكِ يا رحيق ، لست أول من تتأخر في الزواج .عندي زميلة شارفت على المعاش ، وتزوجت منذ شهر عن قصة حب رائعة . تفاءلي حتى تشفين من الاكتئاب . استبدلي بخيالك الواقع . والآن هيا لتأخذي الحقنة المهدئة، ستنامين وتنسين زواجك الوهمي هذا

- سوف آخذ حقنتي ودوائي ، ولكني سوف أكمل قصتي حتى نهايتها بإذن الله ،وستكون نهايتي الجديدة أسطورية رائعة.

جارنا الأمامي

حينما تكون القلوب خاوية من أي شيء أو هدف تتبعها العقول أيضًا في الخواء والعبث، يصبح كل أمر تافهة هو شغله الشاغل ، بل وناقوس الخطر الذي يدق باب صغار العقول، الذين مهما كبر سنهم يظلون أطفالًا عابثين ، لم يتلقوا من صنوف التربية أي شيء . رغم أني في الثانوية العامة إلا أنني أشعر أنني أكبر من سني ، بحكم التأمل والقراءة في كل المجالات .

منذ أسبوع ، بينما نتناول إفطارنا على منضدة الطعام المعدة بواسطة أمي العبقرية الخدومة، نادتني أختي "ميّ" بأعلى صوتها ، فلم أرد عليها في حينها ،لأني كنت مشغولة بتناول ساندوتشات الجبنة البيضاء التي أعشقها منذ طفولتي وأتناول كوب الشاي الذي لا أستغنى عنه بعد الطعام. صرخت "مي" مرة ثانية، فتركت على إثر صرختها طبقي وذهبت كي أستفسر عن الأمر، وعند وصولي لباب حجرتنا عدت لمنضدة الطعام مرةً أخرى لأحمل طبق السندوتشات المفضل وكوب الشاي الساخن ،لأني أعلم أن "ميّ" حوارها طويل ولن ينتهي في دقيقة. دخلت حجرتنا الفوضوية ،هنا مشط أحمر على وسادتي، ودبدوب وردي كبير ملقى على الأرض إلى جانب غطاء فراش "مي" الذي يرسم لوحة عبثية رائعة ،لا يفهمها إلا من دخل حجرتنا فقط . وجدت مي واقفة أمام شرفة الحجرة ، تحديدًا خلف الستارة .أسرعت إلي وجذبتني من يدي ، وجرت بي نحو الشرفة ، حتى كادت أن تسقط طبق السندوتشات مني، ثم قالت بصوتٍ خفيض :

- انظري يا "يا سمين" إنه جالس كعادته

- من الذي جالس كعادته هذا ؟

- عم سالم يا ياسمين. إنه يوميًا يجلس مثبتًا نظره فيّ

- هاهاهاها مثبتًا نظره فيك؟ لماذا يا مي؟

- ألا تفهمين لماذا يا ياسمين ؟ يود مغازلتي طبعًا

- أضحكتيني يا بلهاء .عم سالم أكبرسنًا من أبينا ،وطالما أهدانا اللعب والشيكولاتة الفاخرة ،هل سيفكر بهذه الطريقة؟!!!

- نعم كان يفعل ذلك في صغرنا، لكننا أصبحنا شبابًا، وغالبًا يلاحظ فتنتنا.

صرخت فيها مهددة إياها أني سوف أبلغ أمي بهراء قولها إن لم تكف عن هذا الاتهام البشع لعم سالم. عند هذا أسرعت "مي" بالتقاط حقيبتها وكتبها وخرجت مسرعة لتلحق بموعد كليتها . لكنها لم تتركني دون وعدٍ بتكملة حوارها عن "عم سالم" الذي انحرف على يديها. عبست في وجهها وأشحت لها بيدي علامة على أني لا أريد التحدث في هذا الموضوع مرة أخرى.

مر اليوم سريعًا حتى عدنا جميعًا في المساء ،و في الخامسة نادتني أمي لكي أعد معها الغداء .على منضدة الطعام انغمسنا جميعًا في تناول الغداء، حتى بدأت أمي بسؤالها المعتاد عن أحوالنا. تحاورنا جميعًا، إلا "ميّ" التي كانت في عالم أخر. لم تتناول الغداء بشراهة كعادتها، بل ظلت شاردة حتى انصرفنا جميعًا . أعدت لنا "مي" الشاي ،والنسكافية الذي تعشقه ، لنتناوله في حجرتنا. وما هي إلا دقيقة ، حتى استكملت "مي" حوار الصباح عن "عم سالم " جارنا الأماميّ. حاولت مجاراتها بعد الوقت ثم ثبت نظري في كتابي أحاول الاستذكار. تناست "ميّ" الأمر لبضع دقائق ،حتى أطلقت صيحة استغاثة :

-إنه هو يا ياسمين، أرسل إلي برسالة على الفيس بوك

- من الذي أرسل رسالة يا ميّ ؟

- "عم سالم" يا بلهاء، بحث عن اسمي حتى وجد صفحتي وبعثها عبر الرسائل الخارجية . إنها رسالة غزل ، ولن أفتحها

- غريب جدًا يا مي ، ومن أدراك إنه هو؟! ربما أحد يطلب إضافة

- لا، إنه هو قطعًا . يا ويلي ماذا أفعل؟

وفجأة رن هاتف "ميّ"، وعادت تصيح مرةً أخرى :

لقد بدأ يغازلني عبر الهاتف ؛ إنه رقم غريب ، وليس من الأرقام المسجلة. حتمًا بحث عن رقمي حتى وجده >

رحت أنا في موجة ضحك عالية ، وداعبتها . رحت أصفها في الكوشة مع "عم سالم "، عندها صرخت "ميّ" مشمئزة من تشبيهي . سمعتْ أمي حوارنا، فدخلت علينا مستفسرة ، فلم أجد بدًا من مصارحتها بأمر عبث أفكار" ميّ" . التقطت أمي تابلت

"ميّ"، لتقرأ الرسالة التي وصلتها عبر الفيس بوك ، ثم أطلقت ضحكتها المعتادة عند السخرية ، وقالت :

- أنه والد "شهد" زميلتك يسأل عنها لأنها تأخرت >

هنا صمتت "ميّ" ولم تعلق. حاولت أميّ الإتصال بالرقم الغريب لتطمئن "ميّ" فوجدت أنه والد شهد أيضًا يسأل عنها عبر الهاتف . لكن "ميّ " لم تهدأ، وفجأة أسرعت إلى شقة "عم سالم" لتوبخه على فعله .

أسرعنا جميعًا وراءها ، حتى فتحت لنا خالتي "صافي" زوجته ورحبت بنا. لكن "ميّ" لم ترد على تحيتها، فرددناها نحن. أسرعت "مي" للشرفة لتوبخ "عم سالم" على نظراته لها، وأسرعنا وراءها لنمنعها من جرح "عم سالم" بهذا الكلام الفارغ، وإذا بها تجده يحملق في لوحة فنية يرسم فيها بانشغال . ففهمت أنه لا ينظر لها مغازلًا كما كانت تظن .هنا سالت دموعها أمامه. سألها "عم سالم" عن بكائها ، فأسرعت أمي تخبره أنها كانت تود رؤيتك يا عم سالم لهذا جئنا جميعًا لنسلم عليك.

الخادمة

يدور مجتمعنا المصري في دائرة عقيمة ،تحاسبنا على كل شيء .نحاول الرفعة من شأننا والسير في طريق الحق والرشاد، لكن دون جدوى. لا يفكر أحد في علاج لهذه الدائرة العقيمة كي ينصلح حال الفرد وينعم بسعادته فيها. لهذا منذ أن عملت "عزة" في المدينة الجامعية الخاصة بالطالبات وهى تفكر في رفعة شأنها، لكن كيف؟! هى عاملة نظافة بسيطة لا تستطيع التأثير في أي شيء حولها. حالها كحال الملايين ،ينظر لهم على أنهم عبيد يجب تحريرهم أولًا حتى يتساووا بباقي المهن. عزة ليست الوحيدة في صراعها الطبقي، بل الحقيقة إن كل فئة تحقد على الفئة الأخرى ،وتحارب من أجل التساوي بها. نجد المهندس الذي يسيطر على المدرس ويتعالى عليه براتبه واحترام الجميع له، والطبيب الذي يسحق الجميع بأجره المرتفع وثمن تذكرته الذي ينهب به راتب الفقير الذي يلهث لأجله طوال الشهر. كانت "عزة" تساعد "نورا" طالبة كلية الهندسة على ملء وعائها بالماء من المباني الأخرى ،لأن مبناهن انقطعت عنه المياة . كعادتهم أثناء الامتحانات .يقطعون المياه كي ينصرف الطالبات إلى بيوتهن ،فتخف عليهم المسئولية.

"نورا" مريضة بالفشل الكلوي، لهذا تساعدها العاملات وخاصةً "عزة" مقابل بعض الطعام الفائض من الطالبات . كانت عزة قد اشتهرت بطيبة القلب ومعاونة الجميع. راحت عزة تدخل إناء الماء إلى غرفة "نورا" وتحاول مساعدتها قائلة:

- ألم أقل لكِ يا نورا لا تتحركي وناديني إذا احتجتِ شيئًا؟

- نعم يا عزة أذكر ذلك ،لكنني مللت من المكوث في الفراش

- لم هذا الملل ؟إنك فتاة مثالية وطالبة في كلية من كليات القمة كما تقولون. لطالما حلمت أن أكون فتاة جامعية مثلك، لكني ظروفي صعبة وشهادة الإعدادية التي أمتلكها لا تساوي شيئًا

- اسمعي يا عزة ..لم لا تكملين دراستك؟

- حقًا أتمنى ذلك. لقد سئمت نظرة المجتمع لي ،ومناداتهم لي بكلمة "دادة" يجعلني محبطة جدًا. أفكر في حال أطفالي حينما يكبرون، كيف سيعاملهم هذا المجتمع الظالم؟

- لا يا عزة، إن المجتمع لا يظلمك وحدك ،بل إنه يظلم الكثيرين .أتدرين أن طلبة الكليات الأخرى غير الطب والهندسة منبوذون في مطعم المدينة الجامعية ،لا يقدم لهن الطعام حتى يقدم أولًا لطلبة الطب ! إلى جانب نظرة الحكومة لهم، وتدني رواتبهم فيما بعد.

- حقًا يا نورا، لكنني في القاع بالنسبة لهن جميعًا ،ولا أجد غير حجرة واحدة نختبيء فيها أنا وزوجي وأولادي

- اتفقنا يا عزة . سوف تكملين تعليمك حتى تأخذين شهادة الدبلوم التجاري وتترقين بها إلى عمل أعلى، ولن أتخلى عن مساعدتك.

وفجأة أثناء حوارهن انقطعت الكهرباء ، وهاج على إثرها صراخ الفتيات. لقد طفح الكيل بهن، كيف سيذاكرن وامتحانهن في الصباح! فتعالى صوت "مس رنا" و"مدام ماجدة" ينادين عزة بصوت مرتفع ،كي تغلق باب المبنى على الفتيات حتى لا تحدث ثورة منهن على سوء الأوضاع . لكن عزة تعاطفت مع الفتيات ضد حال المجتمع السيئ، ودخلت إلى حجرتها في خفية وإذا بها تمزق ثياب عملها الأسود على ضوء الشمعة الضعيف، وراحت تخط عليه باللون الأبيض من طلاء غرف الفتيات، تسطر بيدها على ضوء الشمعة كلمتين _ عدالة اجتماعية_ ،وفتحت باب المبنى على مصراعيه ، وأخذت تحرض الفتيات مرددةً عدالة اجتماعية ،فيردد الفتيات خلفها بصوت مرتفع _ عدالة اجتماعية _،حتى انتشر الأمن في أرجاء المدينة، يحاولن فك الاشتباكات، ومحاولة إدخال الفتيات لحجراتهن حتى يهدأ المكان . وما هي إلا ساعة واحدة حتى سمع الفتيات خرير الماء ينتشر في المبنى ،وضوء الكهرباء يعود، ليكشف عن حالهن الغريب ، فظهرت أغلب الفتيات بملابس النوم ،حتى المنتقبات والمحجبات منهن، كاشفات الرءوس ،يتطاير شعرهن كأنما يطلب هو الأخر التحرر. نظر الجميع إلى بعضهن البعض في ضحك ومرح قائلين في صوت واحد _ المهم أننا انتصرنا_ .

ضياع

يشهد الجميع أنني رجل قويّ لا يقدر عليّ أي شيء مهما كانت قوته . أقاوم العقبات بقبضة من حديد. وقد عانيت كثيرًا من أجل نيل شهادتي الجامعية لأني كنت ابنًا لرجل فقير، حتى أصبحت مهندسًا مشهورًا، يشارله بالبنان .كانت زوجتي ابنة رئيسي في الشركة، قدمها لي ذات يوم حينما كانت في زيارة له. ظل يومها يحكي لها عن تميزي في العمل ،وتميزي الأخلاقي ، حتى تجرأت وقابلتها بعدها أكثر من مرة . تعلقت بها كثيرًا، وفعل الحب بي أفاعيله، حتى طلبت مني "أمل" الحبيبة المتيمة بي أن أطلب يدها من والدها ،بعد أن مهدت الطريق لي عنده . طلبت من رئيسي يدها بناءً على طلبها وطلب قلبي .فوافق رئيسي على زواجي من ابنته وقال لي بالحرف الواحد_ إنك يا سامي مثال الموظف المميزلهذا سوف أوافق على زواجك من ابنتي أمل، لكن احذرمن مضايقتها في يوم ما ،لأنها ابنتي الوحيدة ،والأميرة المدللة عندي ،وهي لي كل شيء. وافقت على شروطه دون حرج . مرت الأيام بي وأنا سعيد، أحاول إرضاء أمل كما وعدت والدها، رغم طلباتها الكثيرة التي كانت تفوق راتبي رغم كبره. كانت مرفهة ،اعتادت على الصرف بدون رقابة.لكني تحملتها .وصارت الأيام أحلى عندما أنجبت لي ابننا "فارس" الذي أسميته بناءً على رغبتها أيضًا ،لأنه اسم ابن خالها الذي تحترمه وتعزه كثيرًا. لم أعترض على الاسم ،فكل الأسماء عندي سواء، والمهم هو تميز صاحب الاسم وليس الاسم ذاته. أضأت لأمل أصابعي شمعًا ينيرلها درب الهوى، لكن أنفاس قُبلتها أطفأتها. تأخرت ذات مرة في العمل حتى التاسعة. اتصلت بأمل وأبلغتها أني سوف أبيت في العمل حتى الصباح ، فوافقت دون أي اعتراض. اندهشت كثيرًا من عدم اعتراضها، فهي دائمًا تعترض على كل شيء. مرت ساعتان ،وفوجئت أني أنهيت عملي على الحادية عشرة مساءً، حينها قررت العودة قبل الصباح كي أفاجئ "أمل" بليلة عشق حالمة. انتويت أن أوقظها لو وجدتها نائمة ،حتى نتناول عشاءنا معًا ،وإن اعترضت كعادتها ،سوف أواعدها بليلة أخرى قريبة ،أعوضها عن انشغالي

عنها بالعمل . سمعت صوت ضحك يأتي من غرفة نومنا ، ظننت أن "أمل" تحاور ابننا فارس وتغني له كي ينام .أكملت سيري حتى فتحت الباب ببطء ،لأصعق بخيانة زوجتي مع ابن خالها "فارس". دارت بي الدنيا، وثرت ثورتي ، واتجهت إلى مسدسي الذي كان في جيبي دائمًا ليحميني عند تأخري في العمل . أفرغت رصاصاته في قلبيهما، كي تهدأ ثورتي وأغسل شرفي. أطحت على أثر رصاصي بقلب زوجتي، لكن ابن عمها هرب بعد أن أصيب بخدش في كتفه . تفحصت جثة "أمل" لأتأكد من موتها بيدي، لكن أغرقتني دماؤها ، فقد أفرغت المسدس فيها دون رحمة. لم أستجب لاستغاثتها نادتني ملتاعة هي وعشيقها. تذكرت في لحظة واحدة كل أعذارها الواهية عندما كانت تتأخر خارج البيت. لطالما خرجت دون إذني . فهمت لماذا أصرت على تسمية ابننا بفارس. شككت في بنوته ؛ربما كان ابن "فارس". غمرتني موجة تساؤل مريرة ، إذا كانت تعشق فارس لماذا تزوجتني ؟ أكنت أنا مجرد حلقة وصل لخيانتها ؟أكنت مجرد سلمه تصعد عليها لتصل لرغباتها ؟

راجعت قولها وهى تستغيث بي عند القتل، أنني السبب بإهمالي الدائم لها، وأني لا أمنحها الحب الكافي. لكن حبنا الذي عشناه سويًا ،أكان وهمًا ؟أكان سرابًا؟ أكان مجرد تمثيلية قامت فيها بدورها على أكمل وجه؟ أم أن المرأة لا تستطيع الصبرعلى رجل واحد مهما أحبته؟

أمضيت عشرين عامًا في السجن، بعد تخفيف الحكم عليّ لأثر الخيانة. مرت بي أيامي عصيبة في السجن .فكرت كثيرًا أنني السبب في خيانتها لي ؛ لمَ لمْ أراقبها وأحبها بما يكفي ؟لمَ انشغلت عنها بالعمل ؟ من الممكن أنها كانت سوف تخلص لي حينها . صارعت العذاب وصاحبته، حتى خرجت صباح اليوم من السجن، لا أمل لي في شيء ،حتى ابني سافر إلى أمريكا مع خالته وجده ، بعد أن ساءت سمعتنا بخيانة أمه. بعدما كبر وتربى على يد خالته ، لم يشفع له حالي وبؤسي . لم يزرني في السجن ولو مرة واحدة . انقطعت أخباره عني تمامًا. من المؤكد أن خالته طعمته القسوة ضدي . أكيد صورتني له على أني مجرم . لأني شككت في بنوته ، وطلبت تحليل d n a ،لأتأكد من بنوته. حين تأكدت أنه ابني فعلًا، فرحت يومها كثيرًا ، فرحًا يخالطه العارلأن أمه خائنة. طلت علي الفرحة أخيرًا ؛ إن هناك أمل سوف أعيش من أجله .عدت لبيتنا في ظهيرة اليوم ،وقبل أن أفتح اتصلت بابني أخبره عن شوقي له، وإنني أود السفر إليه لكي أتخلص من عذاب الماضي وصراعاته التي تقتلني. رد في عجالة إنه مشغول بأمر دراسته وسوف يفكر في الأمر في أجازة نهاية العام .ابتسمت وقبلت هاتفي المحمول

فرحةً بوعد "فارس" ابني ليّ ، ودخلت لأجد آثار الدم مازالت على الفراش ؛لم يدخل أحد البيت منذ الحادثة المريرة . اتجهت إلى صورة "أمل" المعلقة أعاتيها على ضياع كل شيء. بكيت بحرقة حتى ابتلت صورتها بدموعي، فرحت أمسح زجاج الصورة واحتضنتها بعشق وحب طل لي متناسيًا ألم خيانتها، ونمت حتى الصباح.

حلم ورقة

دائمًا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، وقدر لي أن أكون السفينة هذه المرة ، لتطيح بي الرياح . تمنيت أن أرى الربيع مرة أخرى ، لكن مقصلة الخريف اختارتني لتجز رقبتي هذا العام .

"ماذا لو خلقني الله قشة في عش عصفور؟"

أسائل نفسي كثيرًا ، لعل الخريف حينها عجز عن اقتناصي ، فحظيت بطول العمر ونعيم الحياة.

أنا وإخوتي تنعمنا كثيرًا في بيتنا ، تراقصنا حينما كان الأولاد يهزون أركان البيت ، لينالوا بعض حبات التوت .

"عم عزيز" جارنا العجوز، كان يوقف نعاجه الصغار تحت بيتي ، يحكم ربطهم في جذره المتين .كنت آنس به بينما يدندن لصغار النعاج كما لو كانوا أطفالًا من نسل آدم . كنت أظله عن حب .

تحت منزلي العريق المنبت ، يمر الكثير من العاملين في الحقول القريبة منا، فهذا "عم عبد السلام" يزرع القمح ، و"عم سعيد"يزرع الأرز . أما الحشائش ، فيلقونها للماشية والدواجن .

كل هذا عاصرته. كنت أشعر أنني أشاركهم أوقاتهم كلها ،وأقاسمهم هموم الحياة.

ترى ماذا سيصير بي الحال ؟

أسأل الله ألا أكون شيء لا يذكر؟ أو مع حشائش الأرض التي يلملمها "عم غانم" لجاموسته الحبلى؟

هواجسي ثقيلة ، لكني رغم هذا أعشق الحياة والعطاء ، و لا أدري لمَ ! هل لأن الموت مؤلم؟ أم لأننا لم نجرب الحياة بعد الموت ؟ كل حلمي أن أكوّن عش عصفور أو

دجاجة أو حتى حمامة، لكي أنعم بالعطاء، حتى ولو كنت ورقة ذابلة أتمنى أن أعطي حتى بعد ذبولي الكثيروالكثير، يا الله أدعوك من كل قلبي أن تمد في عطائي،

سمعت من جدتي أننا سننعم بالجنة ، بل وسنكون زينتها كذلك ، بصفتنا مسخرون لخدمة الأحياء ، ولم أكن لأفهم قولها. الآن ذهبت جدتي ، أخذها الخريف قبل الماضي و..لكن مهلًا .. الشجرة تهتز بعنف!

"عم سعيد" يحاول اقتلاعها. ماذا سيفعل بنا ؟ الخريف أرحم من قبضة الفأس !

توشك الفأس أن تطرحني أرضًا . أسأل الله ألا يدهسني أحد ، وألا يأكلني حيوان.

آه .. سقطت كل أحلامي بسقوطي من الشجرة . عم سعيد يلملمني مع باقي الأغصان ، إلى جوار بيته الذي يشبه الكوخ ، وبه بيت للطيور وحظيرة للحيوانات ، هو لم يقرر بعد ماذا سيفعل بنا .

بالسماء حمامة تقترب ، وعصفور يطل من الشرفة أقصى الشرق أتمنى أن يروني ليأخذوني لتكوين عشهم وتحقيق حلمي هم يقتربون مني هلموا إلتقطوني بسرعة. لكن كم ابتعدت السماء كم أتمنى ! وكم هرمت أنا !

رفعنا عم سعيد ، وصاربنا ناحية الموقد الذي يتدفأ به هو وأولاده. طالما سمعت عن هذا الموقد ، وأنهم يعدون عليه المشروبات الساخنة . رحماك ربي ؛ الحرارة لا تطاق داخل الموقد، لقد وضعني في الموقد لأحرق هذه أسوأ من أي نهاية زارتني في الكوابيس . واسيت نفسي ، بأني سأنعم بالجنتين ، جنة التضحية في سبيل البشر ، وجنة الله في الآخرة . وداعًا شجرة التوت ، وداعا حبات التوت أبنائي ، وأهلًا بالجنتين.

ماسحة الأحذية

حين يفاجئنا القدر بأشياءٍ لم تكن في الحسبان ، ترتبك حياتنا وتتمايل بين الرفعة والسقوط ، وتظل تتأرجح بنا حتى تثبت على شيء بعينه .

أنا امرأة خمسينية ، توفى عني زوجي فجأة دون أي مقدمات مرضية، فقط أصيب منذ عشر سنوات بسكتة دماغية مفاجئة . ربما بسبب كثرة الهموم، أو ربما مل من تعب الحياة ، المهم أنه ترك لي ثلاثة أبناء في مراحل تعليمية مختلفة ، أكبرهم كان في الجامعة، وأصغرهم في الصف الثالث الإعدادي. لم يكن له معاش يكفينا كي نستند عليه ،لأنه كان بائع خضار على عربة صغيرة . لكنها كانت تكفينا شر العوز. فكرت كثيرًا في البحث عن عمل ،أو أي مشروع نقتات منه،لكن لم يكن معي أي مال حينها، حتى مصاريف دفن زوجي تبرع بها جارنا الحاج محمد . لعبت بي الظروف ، ولم نعمل حسابًا لهذا الإحتياج المفاجيء . ساعدني الحاج محمد يومها في كل شيء، ووعدني بمساعدتي إذا احتجته في أي وقت ، لكن الخجل ملأني، كيف سأطلب منه أن يصرف علينا ، ولديه أسرة وأبناء ملزم بهم.

فكرت في مهنة بسيطة تعينني على مواصلة تعليم أبنائي ، وتوصلت إلى مهنة غريبة على النساء ، وهى مسح الأحذية. مشروع غير مكلف لن يكلفني إلا خمسين جنيهًا، هكذا قال لي صاحب المحل عندما سألته . تذكرت على الفور جارنا الحاج محمد والذي شاء القدر أن يكون يد العون لنا ، استلفت منه الخمسين جنيه، ووعدته بردهم عندما يتحسن الحال ، فلم يمانع ، لكنه استنكر عملي كماسحة أحذية، كيف سأتعامل مع الرجال وأنا امرأة ضعيفة؟ وكيف سينظر لي المجتمع الذي يحتكر المرأة في مهنٍ معينة رسمتها لها الأيام كدائرة مغلقة لا تستطيع معها الخروج منها لأي عملٍ أخر؟ لكني أكدت له أنها أنسب فرصة عمل لي ،فهي مشروع غير مكلف، وأنا امرأة ذات شخصية قوية ، ولن تفلح معيّ سخرية الجميع . وافق الحاج محمد على

إعارتي الخمسين جنيهًا، وقال إنه لا ينتظر مني ردها ، فهي هدية منه. لكني لا أود استغلاله أكثر من ذلك .

بعد شهرين من مسح الأحذية رددتهم إليه . كنت أجلس بصندوقي على رأس شارع "التقوى" القريب منا . أمسح الحذاء الواحد بعشرة جنيهات ، وأجمع في اليوم الواحد مئة جنيه ، ساعدتني على تعليم أولادي. وجدت نظرات سخرية كثيرة تلاحقني ، لأنها مهنة خاصة بالرجال فقط. لكن الأيام أثبتت نجاحي وتميزي ، وراح يحترمني الجميع دون النظر لكوني امرأة. وصفوني بأني امرأة بمائة رجل ، وأنني فخر لكل النساء . هكذا بالإصرار والتصميم حفرت اسمي وسط الرجال دون خوف أو لوم. وبعد أن تحسن حالي أنا وأولادي ،فكرت في إكمال تعليمي لأني لا أملك إلا شهادة الدبلوم التجاري . دخلت الجامعة المفتوحة .عارضني الجميع أيضًا وقالوا إن عليّ أن أوفر المال لأولادي ،ولضربات القدر المفاجئة، لكني صممت على إكمال تعليمي الجامعيّ . وتخرجت أخيرًا من كلية الحقوق بتقدير جيد. فرح بي الجميع، وصرت نجمة شارع "التقوى" . الكل يردد تجربة نجاحي، ويفخرون بي ، ويتمنون أن يقلدوني .

رجعت من الجامعة أحمل شهادتي الجامعية ،ودخلت على أسرتي في فرحة غامرة ، أقبل أبنائي الذين راحوا يحتضنوني ، تغمرهم الدموع ، غير مصدقين للأمر. التقطوا شهادتي وأخذوا يتجاذبونها بينهم ، ويقرؤونها بصوت مرتفع . فكروا في وضع برواز زجاجي لها وتعليقها في بيتنا المتواضع ، الذي يتكون من حجرتين، وبهو صغير يجمعنا حينما نتسامر أو نتناول الطعام. علقوها في البهو فخورين بها، وصنعوا لي وليمة كبيرة، دعوا فيها كل جيراننا وأقاربنا . راح الجميع يهنئني . وفي الصباح خرجت بصندوقي لأجلس على ناصية شارع التقوى كعادتي ، لكن بفخر وسعادة غامرة، لم تمنعني شهادتي الجامعية من مواصلة العمل في مسح الأحذية . اقترح الجميع عليّ أن أترك هذه المهنة لأنها أصبحت لا تناسب شهادتي الجامعية، لكني بكل فخر صممت على مواصلة العمل بها ،لأنها مهنتي التي تعودت عليها وأحببتها . صارت الأحلام تتراقص أمامي في صحوي وفي نوميّ ،حتى فكرت ذات يوم وأنا جالسة مع أبنائي نشاهد التلفزيون بعد الغداء، وتحديدًا موجز الأنباء الذي كان يتحدث عن انعقاد جلسة من جلسات مجلس الشعب، أن أترشح لمجلس الشعب عن دائرتنا ، فأنا مشهورة بتميزي وكفاحي، ولي شعبية كبيرة في المنطقة . فرح أولادي الذين تزوج أغلبهم ، لكنهم لا زالوا يحتضنوني ويزوروني يوميًا للاطمئنان عليّ. اقترح ابني الكبير عليّ أن يدير حملتي الانتخابية ، وابني الثاني قرر أن يساعده أيضًا ، أما أنا فتركتهم

يخططون لي كل شيء ويقدمون لي في عضوية مجلس الشعب ،واحتضنت صندوقي وذهبت في الصباح لأجلس على ناصية شارع التقوى . رحت أبشر كل زبائني وجيران المهنة أني سوف أترشح في البرلمان في دورته القادمة ، والتي اقتربت على أي حال ، فهللوا جميعًا وهنئوني ، حتى رآني صحفي في جريدة اليوم السابع ، والذي كان زبونًا دائمًا لي ، فصمم على نشر قصتي في هذه الجريدة الشهيرة ، ووعدني بدوره أنه سوف يقوم بنشر أي خبر بخصوص كفاحي وعضويتي الأكيدة في مجلس الشعب .

كن صديقي

استقظت في السابعة صباحًا حين دخل شعاع نور الصباح من ثقب نافذتي ، ليدغدغ عيني . كانت أمي نائمة، بينما ذهب أبي إلى عمله. اغتسلت سريعًا ، ثم أعددت قهوتي المضبوطة وساندوتش الجبنة الذي أعشقه. تناولت إفطاري وأنا أرتدي ملابسي. صففت شعري الأشقر وربطته بشريط أزرق يناسب لون ردائي . ثم التقطت حقيبتي الفوشيا التي تشبه لون حذائي، وأغلقت منزلنا ونزلت مسرعة، وأنا أدندن أغنية "كن صديقي" لماجدة الرومي . نزلت عبر المصعد ولأول مرة أجده خاليًا . ضغطت زر الهبوط قبل أن يضغط عليه عامل المصعد الذي ابتسم لي ،ثم ألقى عليّ تحية الصباح. التقطت علكة النعناع من حقيبتي ورحت أمضغها لتعطر فمي . ورطبت شفاهي بزبدة الكاكاو ،كي لا تظهر جافة كأيامنا المملة . نزل المصعد فأسرعت إلى عربتي .أشعلت الكاسيت على صوت ماجدة الرومي تغني كن صديقي، و رحت أتمايل على أنغامها . كان الطريق إلى الشركة هادئًا رغم بعض الزحام الذي استغيلته في قراءة قصة قصيرة لكاتب شهير أعشق أسلوبه . عند وصولي للعمل وجدته واقفًا ينتظرني ، إنه زميل الدراسة "أسعد سالم " ، كان دائم التفوق على الدفعة ، وكانت كل الفتيات تلتف حوله ، إلا أنا، لم أفكر في شيء غير النجاح في كليتي ، كلية الهندسة . ظل أسعد يتقرب إلي، ويحاصرني ، يتمنى أن نتقابل ولو في كافتيريا الجامعة. صارحني بإعجابه ، لكني ذكرت له أني لا أفكر في الحب الآن، ربما أفكر بعد التخرج . ومرت الأيام سريعة حتى تخرجت والتحقت بالعمل في شركة كبيرة ، وجاء أسعد ليذكرني بحبه ، لا أعلم لمَ هو متعلق بي إلى الآن .لقد سأل عن موقع عملي، وجاء إليه .

نزلت من عربتي ، فحاصرني في الاتجاه الأخر ، ليلقي عليّ تحية الصباح .رددت عليه وأنا مسرعة إلى عملي ، وتعللت بأني متأخرة ، لكنه أصر على انتظاري بعد العمل ، فقبلت حتى لا أحرجه ، وأنا أتساءل في نفسي ماذا سأقول له وقد دق قلبي لزميلي

في الشركة . حقًا إنه لم يعدني بشيء إلى الآن ، لكن هناك بعض الإعجاب، وهمسات ونظرات تشي بالكثير. دخلت مقر عملي ملهوفة لرؤية زميلي "سامر" الذي خطف قلبي، لكن العمل شغلني جدًا، فلم نتقابل طيلة اليوم .اقتربت الساعة من الرابعة ، موعد انتهاء العمل . وأنا أتهيأ لحوارات أمي بشأن خطّابي .

خرجت من عملي مسرعة إلى عربتي ، لكني صدمت بوجود أسعد بانتظاري . طلب أن نذهب لمقهى قريب لكي نتحاور في أمر هام ، فاعتذرت ، لكنه أصر. لا أدري لماذا يعشق الرجل المرأة المتمنعة عليه ! أهو القلب الذي يهوى العذاب وبلوغ المستحيل ؟ أخبرته أنني لا أحبه ، لكنه يحاصرني . دخلنا مقهى قريب من عملي، ورحت أنظر لجدرانه البنية ، محفور عليها بعض الحروف، ربما ذكرى من بعض العشاق الذين ترددوا عليه. لطالما حلمت أن أنقش حروفي مع حبيبي مثلهم، لكن كيف وهو إلى الآن لم يعترف بشيء . كانت المقابلة ثقيلة على قلبي، لكني تحملتها كي لا أصدم قلبه. دار بيننا حوار طويل ،أعرب فيه عن حبه ، ورغبته في الزواج بي، وأنه لديه شقة فاخرة، ولا يريد ردي الآن . ترك لي مهلة لأفكر، لكني صممت على الصداقة ، وشرحت له أن الصداقة عمرها أطول وحبها أعمق ، ولا تغيرها الظروف أو الصعاب .حزنت عيناه ولمحت فيها دمعة، وقال إنه سيعطيني فرصة للتفكير، وسينتظر ردي بعد أسبوع ، وترك لي رقم هاتفه.

مر الوقت ثقيل عليّ، حتى ذهبت إلى بيتي .لا أدري لماذا نعشق من لا يحبنا ! لماذا لا يتحرك قلبي نحو أسعد ! هو شاب مثاليّ في كل شيء ، لكن قلبي متعلق بزميلي تعلقًا شديدًا . لا أشعر ناحية أسعد إلا بأنه زميل وصديق فقط . أعلم أن الصداقة بين الرجل والمرأة في مجتمعنا منتقدة ، لكن لماذا لا ينظر لي من زواية مختلفة، يهتم بعقلي وفكري فقط . أنا متعبة من كثرة المعجبين والمحبين . إن أسعد مخلص وبه كل مواصفات الصديق المثاليّ. ليته يفكر في الأمر.

رجعت إلى بيتي لتخبرني أمي بأمر عريس جديد ، مستعد للزواج فورًا. أنهيت حواري مع أمي بأنني لا أفكر في الزواج الآن . وانفردت بغرفتي ، وأطفأت نورها حتى لا تدخل أمي فتكمل حوار العريس الجديد. و على ضوء التابلت ، رحت أبحث عن صفحة زميلي سامر لأسأل عنه ؛لأني لم أراه اليوم. لكني صدمت حين وجدت بوست منشور به إعلان خطبته من جارته. انهارت دموعي كالليهيب ،وكدت أصرخ من الألم، لكني خشيت سماع أمي لصوتي . لماذا خدعتني يا سامر ألم تبدي إعجابك بي؟! ألم تقل لي أني فتاة مثالية؟! ألمْ تقل أنك تعشق جماليّ ؟! ضاعت كل أحلامي التي حلمتها

من أجلك. أين بيتنا الذي حلمت أننا سنبنيه معًا ؟!

قبعت بفراشي حتى الصباح ، يأكلني الحزن . رن منبه هاتفي ليوقظني ، فأغلقته لأني لم أنم أساسًا . مريومان وأنا متغيبة عن العمل ،أتعلل لأمي بأعذاركثيرة ، حتى تعافيت وعدت إلى عملي . تقدمت بطلب لنقلي لفرع آخر ،حتى لا أراه أمامي . قابلني "سامر" في الممر، تحاشيت مقابلته وانزويت جانبًا، لكنه اعترض طريقي لكي يسلم عليّ :

- صباح الخيريا نرمين . كيف حالك؟

حاولت النطق لكني لم أستطع الرد عليه. لمَ يصر على مواجهتي ، كأنه يود أن يغيظني . أشحت له بيدي علامة رد السلام.

- نرمين .. إني أحترمك كثيرا ، لهذا أعتبرك صديقتي المقربة هنا ، وآسف لأني لم أدعوك لحفل خطبتي ؛فقد كانت حفلة عائلية متواضعة ،ولم ندع أحدًا .

- شكرًا يا أخ سامر. يسعدني صداقتك، وألف مبروك.

قلتها و قلبي يتمزق. راحت عيناي تلومه وتعاتبه رغمًا عني. أتعذبني بمواجهتك يا سامر؟ لم اقتربت مني وعودتني عليك إن لم تكن تحبني ؟ أكنت لعبة في يدك ؟ أم هو سوء فهم مني ؟ لا، بل أنا من أخطأت؛ كان يجب أن لا أمني نفسي بشيء غير واضح. تحاشيت النظر له ، وانصرفت إلى موقع عمليّ . مرت الأيام قاسية ، لكني تعلمت درسًا لا ينسى ، تعلمت ألا أبني شيئًا على أوهام. وساورتني الظنون على شاكلة .. ربما هذا هو انتقام الله مني ،لأني رفضت حب أسعد. وقلت له كن صديقي. اليوم قد شعرت بنفس ألمك يا أسعد. كيف كنت قاسية معك؟ كيف تحملت طلبي أن نكون أصدقاء؟ لمَ لم أتقبلها من سامروفرضتها على أسعد؟

مرت الأيام ثقيلة كالجبال، وأتى موعدي مع أسعد .لا أدري بماذا سأجيبه .وهل سيكون أسعد مطيبًا لآلامي؟ هل أوافقه على طلبه لأنتقم من نفسي؟

ذهبت إلى المقهى أنتظره .لأول مرة يتأخر عليّ ، وقد كان دائمًا في انتظاري . حاولت تتبع بعض الموجودين في المقهى ، ورأيت ملامح السعادة تعلو وجوههم إلا أنا وحدي بوجه عبوس. وفجأة سمعت صوت ماجدة الرومي يأتي من داخل المقهى تغني "كن صديقي" . انشغلت بها لأني أعشق هذه الأغنية. دخل أسعد مبتسمًا ملهوفًا لسماع ردي على طلبه . نظرت له بحزن وأخبرته أني مصدومة في حب شخص ما ارتبط بأخرى

مؤخرًا، وأنني متعبة جدًا من كثرة المعجبين بيّ ، وأريد شخصًا يفهم عقلي ويقدره. فصمت قليلًا ،ثم علا صوت ماجدة الرومي تغني "كن صديقي" ، فرحنا نرددها سويًا ونتراقص على أنغامها ، لكن دمعة فرت مني على فقام أسعد بمسحها ، وابتسم.

مراقبة

لا أخفي أني مللت هذه الطريقة الحياتية، فمنذ مراهقتي وهو يتتبعني كمخبر للشرطة، يود أن يضبط مجرمًا ، و نفسي الأبية ترفض تتبعه الذي دمر حياتي ؛ فهو السبب في دخولي كلية العلوم؛ كي أبعد عن أي مكان يوجد فيه، أو حتى يذكرني به . أصبح يحاصرني برغباته وأحلامه . لا أعرف لمَ أنا بذات ،والدنيا مليئة بمن يرضونه. أهو أعمى لهذه الدرجة؟ أم متيم بي لحد المراقبة ؟ سئمت رصده كل شعور أحس به ، سعادة كان أم حزن . أتذكر أيام كنت في الثانوية العامة، كان يود مقابلتي والتنزه معيّ في أيّ مكان أحبه، حتى يستمتع هو بي، ويعطلني أنا عن التفوق ، حتى أتفرغ لإشباع رغباته . أجارية أنا كي أترك تميزي العلمي ، وأفكر في إرضائه كأنه أمير الحواديت ؟ أم أنا ساذجة حتى أحيد بمستقبلي لطريق الفشل حتى يتسنى له مغازلتي والعيش معي في نعيم ،هو وحده من يشعر به ؟

وعندما مرت الأيام ، وظهرت نتيجتي في الثانوية العامة ،حزنت كثيرًا على مجموعي الذي لا يلحقني بكليات القمة ، كي أبعد عنه ،لأنه وعدني ذات مرة أنه سوف يسخر نفسه لي ولرغباتي ، سوف يحققها جميعًا، قال لي وبكل ثقة سيكون مستقبلك معيّ مشرفًا يتمناه كل إنسان يحلم بالسعادة، أو راودته يومًا عن نفسها. وأخبرني أنني إذا دخلت كلية أدبية تناسب طموحاته وأمله في الإقتران بي والعيش معيّ ، سوف يسعدني بكل ما أرضى به، لكني صممت على دخول كلية العلوم كي أحقق حلمي في الترقيّ الجامعيّ ، حلم الأغلبية حين يسقط حلمهم في بئر التنسيق وألاعيبه ، وهو حلمي أنا تحديدا، حتى أثناء دراستي في كلية العلوم كان يطل علي من نافذة ما تخترق قلبي وعقليّ، يحاول إقناعيّ بالتحويل لكلية أدبية يكون موجودًا فيها معيّ . وظل يراقبني، لا يرفض البعد أو تغير فكرته في تتبعيّ حاورته ذات مرة بصوت مرتفع حتى سمعني كل من حوليّ قلت له إن ليّ أحلامي الخاصة التي يجب عليّ أن أحققها

قبل أن يمر العمر وأندم على تركها. أتذكر مرة كنت مدعوة في فرح لزميلة ليّ ، وفي غمرة فرحتنا ورقصنا راح يذكرني بنفسي. لمَ لا تفكرين بحالك، ألستِ جميلة مثل صديقتك التي يتهافت عليها الخطاب من كل مكان وكل زمن ؟ لمَ لا تفكرين بحالك؟ألا تغارين ؟. صرخت فيه قائلة:

- ابتعد عني أيها الوغد لقد سئمت مراقبتك ومغازلتك ليّ ابتعد

- لا يا حبيبتي.. أنا أطلب لكِ الخير.حتمًا ستندمين على رفضيّ في يوم ما

- هاهاهاها لن أندم .. سوف يكون يوم سعدي يوم تبتعد وتترك عقلي هادئًا بعيدًا عن صخبك

- أهذا هو رأيك فيّ؟!

- نعم هذا هو رأييّ ، وإن لم تبتعد عني سوف أمحوك من الوجود، سأقتلك أيها الوغد.

وأسرعت إلى المطبخ لآتي بالسكين كيّ أقتله ،وعيناي تقدحان شرًرا ، وعندما خرجت بحثت عنه فلم أجده في أيّ مكان ، و وجدت رسالة على المنضدة من قد تركها ليّ . كدت أمزقها أو أحرقها ، لكنيّ تراجعت . ذهبت بها إلى حجرتي ثم وضعتها في الكومودينو لا أدري ما الذي غيررأيي هكذا ،أهو انتصاريّ عليه ؟ أفردت جسديّ على فراشيّ ناظرًة إلى سقف حجرتي الأبيض ،وشيء من الحزن ملأ كيانيّ وأسقط دموعيّ ، كأنما بتر أحد أعضائي . لكني تماسكت وذهبت إلى الحمام. فتحت صنبور المياه، وتركت الماء ينساب على شعري الأسود المنسدل كالحرير، ثم رطبت وجهيّ بالماء، ورحت أمسح زجاج المرآة ، ففزعت عندما رأيته ينظر لي مبتسمًا ابتسامة المنتصر. أخذت أمسح المرآة فإذا به يتلاشى . ظننت أنها تهيآت تنتابني من أثر ما حدث بيننا . أخذت حقيبتي على عجل وفكرت أن أذهب للمقهى القريب كي ، أنسى أمره . وصلت إلى المقهى وطلبت قهوة سادة ، ثم مسحت وجهي فتحت أغنية أعشقها .جلس أماميّ شخص يحدق في مستغربًا ملامحي الحزينة . وجدت نفسي أتحاور معه دون وعيّ ، فعندما يعانقنا الحزن نبحث عن الغرباء لنبث لهم شكوانا ،ربما لأنهم سيكونون أكثر تعاطفًا معنا من الأقرباء ، أو ربما هم الأصدق لا أدري . اقترب من طاولتي ، وسألني عن سبب حزنيّ ،فشرحت له الأمر بكل تفاصيله .أخبرته عن تتبع هذا الوغد ليّ ،وعن صراعاته معيّ منذ مراهقتيّ إلى الآن. نظر لوجهي قائلا

- من الواضح أنكِ متعلقة به

- لا.. لكنه التعود على وجوده ،فقد كان يتتبعني منذ مراهقتي وحتى تخرجت

- إذا لماذا لم تجربيّ الإصغاء له ؟ من الواضح أنه يحبك

- أعلم أنه يحبني ، لكني خائفة ؛إذا اقترنت به سيضيع مستقبليّ ،وأندم على ضياع عمريّ معه

- لا.. أنا أنصحك أن تقرئي خطابه لعل فيه راحة لكِ

- هل ترى هذا مفيدًا ليّ؟

- ربما يحالفك الحظ معه ،وتتألقين في سماء السعادة . جربيّ أن تتجاوبي معه، فمراقبته وأقواله توحيّ بالحب.

أنهيت حواريّ مع ذالك الغريب وأحسست بالراحة بعد هذه الفضفضة . عدت إلى بيتنا ، ودخلت حجرتيّ أبحث عن خطابه فإذا به يقول:

عزيزتي خلود .. تحياتي

لن تجدي أحدًا يعبر عن سعادتك وحزنك مثلي .فكري ولو مرة في التعاطف معيّ وتلبية أمريّ. أعدك أني سأحقق لكِ النجومية . لديكِ الموهبة وطالما خاطبتك وطلبت منك أن تحاولي سكب حبري وكتابة كل أفكارك وخواطرك وقصصك المخزونة بعقلك. انظري إلي جيدًا ، وحققي في طلبيّ ، وعندها سوف تنعمين بالراحة والسعادة ، ولن أتخلى عنك، سأعاود المجيء مرة أخرى عند موافقتك على الكتابة.

إمضاء: قلمك المخلص

إرادة

منذ أن إلتحقت بالثانوية العامة وأنا أفكر في حاليّ ومبادئي وديني . فكرت كثيرًا في كوني مسلم بالوراثة منذ طفولتي حسب ما تفعله القوانين في انتسابنا لدين آبائنا ، وتساءلت : لماذا لا يُترَك أمر الدين حتى نكبر ونبلغ سن الرشد ؟ لماذا نحفظ دين آبائنا منذ ولادتنا ؟ لماذا لا يكون في مناهج الدراسة دراسة كل الأديان كي نعرف ما هو الدين المناسب لنا فنعتنقه عندما نبلغ سن الرشد ؟ لابد من تغير هذه العادة الوراثية السيئة، ووضع قانون يسمح لنا بدراسة كل الأديان ، وترك حرية الاعتقاد لنا. إن إرادتي تزداد ورغبتي تدفعني لمعرفة ما يعتنقه الآخر، ربما هو على حق وأنا على باطل أو ربما العكس . أهي سياسة عليا من قبل كبار رجال الأديان؟! أم هو تعصب ديني ؟ دخل أبي عليّ ذات مرة ووجدني أقرأ في "التوراة" - كتاب اليهود -، فاستغرب من حاليّ، وراح يصرخ فيّ:

- ماذا تفعل يا باسم ؟

- لا شيء يا أبيّ ، إنني أقرأ في التوراة كتاب اليهود

- أجننت يا باسم؟ ألم تحفظ القرآن وتعرف أنها كتب محرفة؟

- هذا ما يقوله القرآن يا أبيّ، لكن دعنيّ أتأكد من الأمر بنفسيّ .أنا أود اختيار ديني عن اقتناع وليس عن طريق الوراثة

- أعد عليّ ما تقول يا باسم ! أتود الردة يا بني ؟ يا حسرتي وخيبة ظني فيك . إن لم تترك هذه الكتب وشأنها فسوف أتبرأ من بنوتك حتى لا يعاقبني الله فيك

- لا يا أبي، لن يعاقبك الله ؛ أنت حر فيما تعتنق، وأنا حر أيضًا فيما أعتنق .هذا ما أمر به الله نفسه في القرآن ، لماذا تغفلون هذا؟!

- لابد أنك تأثرت بصفحات يهودية عبر شبكة التواصل الإجتماعيّ ،لقد حذرتك مرارًا منها

- لا يا أبيّ إن فكرة حريتي في ديني بدأت منذ طفولتي ،عندما كنت أحفظ سورة

الكافرون ، والتي تحث المسلمين على حرية اعتناق الدين ، وكما يقول الإسلام لا إكراه في الدين . إن الإسلام الذيّ حفظته وفهمته منذ صغريّ هو من شجعني وعلمنيّ أن أختار ديني بإرادتي وليس بالوراثة.

خرج أبيّ بعد إقتناع نسبيّ بحريتيّ في اختيار ديني، وظل يرقبنيّ عن بعد ويدعو لي في صلاته أن يأتيني اليقين ،كيّ لا يفضح بين المسلمين . إنها مسألة تعصب ليس أكثر، فكلٍ يلهث وراء نصرة دينه دون النظر لحريتنا وحقوقنا الخاصة . وبعد قراءة التوراة قرأت الإنجيل بكتبه المختلفة ، ورحت بعد ذلك أبحث في الديانات الأخرى مثل الهندوسية والبوذية وغير ذلك ، فلم أقتنع بها ، لكن زادت حيرتيّ وبحثيّ في الأديان السماوية الثلاث . لا أعرف لماذا هي فقط من أطلق عليها سماوية دون غيرها . فكرت بعد ذلك في قراءة علم اللاهوت ، وهو علم يشرح الذات الإلهية وأصول الأديان. ساورتنيّ الشكوك في كثير مما قرأت ، فرحت أقترب من الله أكثر فأكثر دون إتباع أيّ دين . سألت الله أن يهديني للصواب . وظللت أقارن بالحجج المختلفة لما تقوله الأديان الثلاث . استغربت جدًا من التوراة لأنها تصور الله بصور بشرية سيئة، كالحقد والكره ، فتأكدت بتحريفها . كما أنني استغربت من الإنجيل الذي يصور لنا المسيح بأنه إله، أو ابن إله . كما ساورنيّ شك في الإسلام نفسه، والذي يصور الرجل حيوانًا مفترسًا ، لذا يجب ستر المرأة عنه كي تحافظ على نفسها منه، إلى جانب قضية الميراث ، والتي تفضل الرجل على المرأة .

مرت أيام طويلة في بحثيّ وشكيّ لجأت فيها لكل رجال الأديان الثلاث ، وتحققت من كل المصادر، حتى دخل عليّ أبيّ في ليلة ممطرة، مرتديًا جلبابه الأبيض ،يسبح على مسبحة زرقاء يعلقها في يده ، ونظر إلي قلقًا ينتظر نتيجة بحثيّ ، فابتسمت له وابتسم ليّ، ثم أغلق الباب عليّ وخرج لصلاة العشاء.

قلم وممحاة

في حجرة مطلية باللون الورديّ ومليئة باللعب المختلفة ، يوجد دمية هنا ، وهناك على الفراش المنظم يوجد دب أبيض، فمه وأذناه مطليّان باللون الأحمر ، ومكتب منظم علية كراسات ،ومقلمة تحوينا جميعًا .

خرجت شهد من حجرتها كيّ تتناول طعام العشاء مع أسرتها الصغيرة. شهد في الصف الثالث الابتدائي، تحب الكتابة والرسم بيّ، أنا قلمٌ رصاص مهم وجريء ، أدون كل ما هو هام ، وأرقب كل شيء من دون الإفصاح عنه، لأنيّ قلمٌ أمين . اشترتني شهد من مكتبة "النور" القريبة من منزلها ،كما اشترت معيّ ممحاة كبيرة لونها أحمر. يدب الشجار يوميًا على منضدة المذاكرة بينيّ وبين هذه الممحاة ، حيث تخرج في ظلام الحجرة إلا من نور يأتيها من النافذة، لتمحو أثار ما رسمته بيّ شهد في كراسة الرسم . يدور الشجار بيننا ، فتستقيم الممحاة رافعة رأسها ،وتقول في غرور:

- لولايّ لدمر كل شيء ،ولعجت الكشاكيل والكراسات بالفوضى.

أنظر لها بتعالٍ ، وأخط بسنيّ على الورقة تاج كبير،عليه نجمات مزينة ، فتسرع الممحاة بمحو ما خط سني . أغضب عليها وأصرخ محذّرا

- إياكِ أن تقتربيّ مما أخطه أيتها الممحاة ، وإلا أوقعتك من فوق المنضدة.

فتسخر منيّ ضاحكة وتميل برأسها قليلًا:

- وهل تقدر على إيذائي أيها القلم المغرور؟ ما أنت سوى شيء من بعد تصحيحي ومحويّ لأخطائك . ثم تخفض رأسها وتنظر ناحية النافذة ، فأرد عليّها باحتقار

- لولايّ أيتها الممحاة لما تعلم البشر لغتهم وفنونهم، ولولايّ لما قامت الثورات على الظلم في كل مكان، فأنا أسطر كل ما في العالم، أما أنتِ فلا تستطيعين إلا إزالة أخطائنا . أفهمتِ أم أشرح لكِ ثانية.

تنظر إليّ الممحاة باحتقار مقهقهة بصوت عالٍ :

- أنا الأصل ، لولايّ لدام خطأكم وانتشر ظلمكم وعيبكم أيتها الأقلام المغرورة.

أحاول الهدوء قليلًا ،متذكرًا بعض أمجاديّ من رسم لوحات عالمية ،وسطر بيانات هامة ، ثم أتنهد بعمق وأقول لها هازئًا

- معذورة ،لا تحفظين التاريخ جيدًا. لن أدخل في حربٍ غير متكافئة

تنفعل الممحاة وتصرخ بقوة

- أنا غير متكافئة معك! أنسيت أيها القلم أن التكنولوجيا قد أنحتك جانبًا ، وأصبحت لا تظهر إلا في التدريس فقط ؟ كل المهمين في الدولة تركوك واستخدموا الحاسوب، وبقيت وحدك شريدًا محروم من الإهتمام .

وهنا اشتدت ثورتيّ ،ورحت ألوثها ،وراح إخوتيّ في المقلمة يهجمون عليها لتشويها بكل الألوان . أخذت تصرخ بكل قوة ، حتى دخلت "شهد" الحجرة على أثر صوتنا المرتفع ،وصرخت منادية على أمها لتزيل آثار ثورتنا على المكتب ،بعدما تلوث بكل الألوان . أسرعت الأم إلى الحجرة ،وراحت تمسح آثار كل شيء، ثم لملتنا جميعًا و ألقت بنا في سلة المهملات ، وقالت لشهد :

- سوف أشتريّ لكِ مجموعة غيرها ، إن نوع هذه المجموعة رديء ،لا يعرف النظام والنظافة .

وظللنا داخل سلة المهملات نصرخ كيّ ينقذونا من الهلاك ، لكن لا أحد يفهم لغتنا كي يساعدنا على النجاة .استسلمنا للموت آملين في الجيل القادم من المجموعة الجديدة ،والذي سوف ينتقم لنا جميعًا. ولعل رجل القمامة ينقذنا ويعطينا لابنه كي نكمل ثورتنا على تلك الممحاة الغريبة.

قطعة لحم

كنت في الصف الثالث الإبتدائيّ عندما توفت أميّ ، ولا أعرف سبب موتها .عندما كنت أسأل والديّ كان يقول لي إنه قدر الله ، ولا ينبغي لنا الاعتراض ، وأنها ذهبت إليه في جنته . حزنت وقتها كثيرًا ، وسألت الله أن يأخذني لها لأعيش في جنته مع أميّ، وتساءلت كثيرًا : لماذا وأنا صغير وحبيب الله كما يخبرونني لا يأخذنيّ بدلًا من أميّ ؟ لكن مع مرور الوقت تناسيت الأمر. تزوج أبيّ بعد عام من امرأة أخرى تدعى "عبير" ، امرأة شريرة تكرهنيّ بشدة . وقتها طلب منيّ أبيّ أن أناديها بماما عبير، لكني لم أستمع لكلامه لأني لم أستشعرها داخلي، ورحت أناديها باسمها دون ألقاب. ضربني أبيّ لعدم احترامي لها ،واضطررت أن أناديها بخالتي عبير.

كانت زوجة أبيّ تنتظر خروج والدي من البيت لكي تسخرني لأوامرها . كنت أشتريّ لها كل شيء، حتى الخضار نفسه كنت آتي به من تحت المنزل ،وعندما أعود من شراء الخضار تجعلني أنظف البيت، وعليه لا أجد وقتًا للمذاكرة .و كانت كلما لمحتني أستذكر دروسيّ تفتعل أي شيء لتشغليّ به . رحت أذاكر وهى في العمل، حيث كانت تعود في الرابعة عصرًا ،بينما أعود من مدرستيّ في الواحدة ، وكنت أنهي واجباتي قبل عودتها . حتى الطعام كانت تحرمنيّ منه، فكنت أتسلل للمطبخ وهى في العمل لكيّ أخبيء الطعام في دولاب ملابسيّ، فأملأ حقيبتي بالأرز وقطعة لحم وجبن وخبز، وأدسها في دولابيّ ،وخاصةً قطعة اللحم لأنها كانت تحرمني منها وتقول ليّ إن اللحم لوالدي فقط . وفي مرة من المرات عبأت حقيبتي وتنبهت أنها ستعلم ما سرق من الدجاج لأنه يسهل معرفة ما أخذ منه، فكنت أتحاشى سرقة جزء من الدجاجة ، حتى لا تلاحظ شيئًا، واكتفي بالأرز والخضار. وذات مرة عند تناول الغداء أعدت خالتي عبير المائدة وظللت في حجرتيّ حتى ينتهون من الغداء ويدخلون حجرتهم ،كي أستطيع أن آكل طعاميّ . رحت أذاكر في كتابيّ مترقبًا موعد دخولهم حجرتهم ، فإذا بها

تصرخ علي وتناديني ، فظننت أنها تريد أن أعد معها المائدة، لكني فوجئت بها تسأل عن قطعة اللحم الناقصة. لقد قامت بعد قطع اللحم قبل وضعها في الثلاجة ،لأنها لاحظت نقصان طبق اللحم كل مرة، وكنت أنا كعادتي قد سرقت قطعة ، فقالت :

- أين قطعة اللحم الناقصة؟ إنني أعرف عددهم جيدًا.

ارتجفت بشدة . خفت من عقاب أبيّ ، وأنكرت أنني أخذت شيئًا، وانزويت في حجرتيّ أبكي حاليّ . لن أستطيع تذوق اللحم بعد اليوم . وفجأة دخلت زوجة أبي حجرتيّ وبحثت عن قطعة اللحم الناقصة في كل مكان ، وأنا أرتجف خوفًا من عقاب أبيّ ،وصممت على الشكوى له. كنت في السابق أتحاشى التشابك معها لأن أبيّ دائمًا كان في صفها ،لا ينصرنيّ يومًا عليها ، لكن خوفيّ زاد بعد اكتشافها للأمر، وقالت لي إنها سوف تعلم أبيّ بسرقتي ،وحتمًا سوف يحرمني من المصروف والطعام. انتفضت غاضبًا ورحت ناحية حجرة والديّ ،لأشكو له والدموع تغرق وجهي، مدى ظلمها ليّ بحرماني من الطعام ، وليفعل ما يفعل فلم يعد هناك شيء أخشى منه. ليقتلني حتى إن أراد . وعليه دخلت حجرته دون استئذان من شدة غضبي، فاعتدل أبي جالسًا فوق فراشة ، غاضبًا محمر العينين ، وأخرج العصا من تحت الوسادة حيث كان يخبأها لضربي إذا أخطأت ، فجريت كالمجنون خارجًا ،وأبي يتبعني مناديًا علي ، وأنا أصرخ دون رد . وأثناء فتحي لباب المنزل كي أهرب من عقابه، فوجئت أن أبيّ إتجه ناحية زوجة أميّ يضربها بغضب شديد ، يتطاير من عينيه الدخان قائلًا:

- ألهذا الحد تظلمين ابني؟! أتقومين بعد قطع اللحم أيتها الخبيثة ؟!وراح يضربها وهى تصرخ . استغربت وقتها من تغير أبيّ ، فتهللت أساريروجهيّ ، ومسحت دمعي وإذا بأبيّ يعطيني طبق لحم كامل ، وطردها خارج البيت لتعود لبيت أبيها. أخذت طبق اللحم وانفردت في حجرتيّ آكله، كأنني أكل اللحم لأول مرة.

وحدة

أعيش في هذا البيت وحديّ منذ توفت زوجتي وتزوج أولادي .لا أحد يسأل عن حالي إلا بواب العمارة، يزورني ليساعدني في تنظيف البيت وجلب حاجياتي من الخارج. أصبحت كتحفة قديمة ،لا أحد يهتم بها إلا عندما يعلوها الغبار. كيف لي أن أعيش وقد قتلتني وحدتي؟ حقًا أنني بلغت الخامسة والستين وهو سن الحكمة والراحة، إلا أنني لا زلت أشتهي أشياءً كثيرة في هذه الدنيا ،من قال أن هناك سن معين تنتهي فيه رغبات الإنسان! نحن مهما حققنا من نجاحات ومهما أنعم الله علينا من نعم نجدد عهدنا برغبات وأحلام جديدة دائمًا. أه لو أن قدمي كما السابق معافاة من آلامها ،لكنت جلست على القهوة مع أصحابيّ نتسامر ونثرثر، لكنها تؤلمني جدًا ،ولا يفلح معها أي علاج . ترى أين عصفورتي الرقيقة التي تعودت على زيارتها ليّ ؟ تأتي فتقف على حافة الشرفة ،حيث عشها الذي نسجته لتضع فيه صغارها. تخرج كل يوم صباحًا بعد أن تغرد بصوتها العذب لتوقظني من نوميّ ، فأفرح بها وأقوم بهدوء لآتي لها بحبات الأرز ،كيّ أطعمها ، وتأكل في فرحة وتطعم صغارها قبل أن تخرج لكفاحها اليومي .

منذ يومين غابت ولم تعد لصغارها ، فاضطررت أنا لإطعام الصغار، لكنهم لا زالوا يصرخون . ترى أين ذهبت ؟ أيكون أكلها أحد الطيور الجارحة؟ هل استولى عليها قط مفترس ؟ لابد أن أطعم صغارها مرة أخرى ؛ أظنهم قد جاعوا الآن . سأضع لهم حبات الأرز كما فعلت معهم بالأمس .ها قد أتيت لكم أيها الصغار. أمكم ستعود كالعادة لا تقلقوا . لكن العصر حان ،وهي لا تزال بالخارج . دعوت ربي أن تعود فهي من تؤنسني في وحدتي . لقد أعددت لهم قفصًا كي أساعدهم على الحياة ،ترى هل أضعهم في القفص أم أن هذه أنانية مفرطة مني أن أحبسهم ليكونوا بالقرب؟ لكن وجودهم بالقفص سوف يكون أمانًا لهم ولي. المهم أن أفكر في طريقة ما تعيد لي عصفورتي الرقيقة ، فقد كانت بمثابة أكسجين يعينني على الحياة. ترى هل ستأتي في

هذا المساء ؟ أظن أنها لو كانت حية لما تأخرت كل هذا. سأحاول اللهو بهاتفي المحمول وأنظر إلى صورها المحفوظة به. حقًا إنها لذكرى رائعة ، كانت هذه الصورة قبل أن تضع بيضها في عشها . وجدتها تتردد يوميًا عليّ وتحمل القش وتنسجه، كانت رائعة. وهذه صورة أخرى لها وهى تنسج القش قد التقطتها بكل حذر. ا؟!

رن هاتفي ،فتساءلت عمن يكون السائل ، فوجدته ابني باهر.

- مرحبًا بك يا بني . أعطني فرصة أرجوك ، في كل مرة تسرع معي في مكالمتك. نعم أنا بخير، لكن عصفورتي التي كانت تسليني خرجت منذ يومين ولم تعد .

ماذا؟ سوف تشتري لي قفص عصافير؟ جميل يا بني، لكني أود عصفورتي الحنونة فإنها تفهم حواري وصمتي. قد تعودت عليها وصرنا أصحابًا أحاورها وتحاورني. نعم عقلي بخير يا ابني ،أنا لست عجوز خرف .

أود رؤيتك يا باهر، أولادك قد أوحشوني جدًا . إلى متى ستؤجل زيارتك ليّ ؟ سوف أنتظرك الجمعة القادمة ،لا تتأخر.مع السلامة يا ابني. في حفظ الله.

لكن ما هذا الضجيج المفاجيء؟! هناك من أوقع طبق الأرز من على حافة نافذتيّ، أيكون قط مفترس تسلق النافذة ؟ لكن كيف أتى إلى هنا هذا القط البشع؟ لعله اشتم رائحة السمك الموضوع على المنضدة في حجرتي ، فالبواب لم يأتِ لتنظيف البيت اليوم ،ترى ماذا أخره؟ لن أنتظر حتى يدخل هذا القط علي وأتعارك معه كي يخرج من بيتي، سأقوم بنفسي بغلق النافذة. آلمتني قدمي ،لم تعد تتحمل خطواتي . وصلت بالكاد إلى النافذة و.. مرحى ،إنها هي عصفورتي!! لقد عادت أخيرًا . طالما حلمت بعودتها . حالًا يا عصفورتي سأحضر لكِ الطعام لكن بعد أن أغلق النافذة، وحذار الغياب مرة أخرى. قد اعتدتُ عليكِ أيتها العصفورة الطيبة ، والحمد لله على كل شيء. لا شيء أخر يستحق الحزن طالما عادت ليّ عصفورتيّ ، أنيسيّ ورفيقيّ. مرحى يا عصفورتي ، غني معيّ كعادتك.

الوداع الأخير

منذ الفجر وأنا أشعر بشعور مختلف كأني بين الحياة والموت .أرى طاقة روحانية غريبة تحلق في سمائي الصافية، طاقة جديدة عليّ ، حاربتها كي تذهب بعيدًا عني، فلم ترحل . وظللت أقاوم في صمت ، وأسترجع معها شريط حياتي . كل شيء كان واضحًا أمامي. أيامي السعيدة التي مرت عليّ كما النسيم صافحتها بكل ود، لكن أيامي العصيبة رجوت من الله أن يكافئني عليها. لطالما نخرت في جدار عمريّ حتى أجهدته. الكل من حولي يصرخون وينادون عليّ فلا أجيب أحدًا منهم، كأن لساني قد شل فجأة . أيها اللسان الذي طالما تشدق بكل أنواع الكلام ،لمَ أنت صامت الآن؟! ألذنب اقترفته وتهاب العقاب ؟ لن يفيدك اليوم أحد أيها اللسان الثرثار، أصبحت كالخيل الكبيرة ، تقتل لكبر سنها وعدم فائدتها. البيت غريب عليّ، كأني لمْ أره من قبل .الجدران تحتضني بقوة وتجذبني ناحيتها، لكني مثبت على فراشي ،وقد امتلأ المكان حوليّ بأناس يرتدون الأسود، كأنما هم غمامة سوداء. يصرخون باسمي، ينادوني بلوعة . الآن يدخلون علي الغرفة التي أنام على فراشها ،كأنيّ لم أنم من قبل. أعضائي مستلقية لا حراك لها ،كثياب ملقاة بلا حول لها ولا قوة . لا أنفاس تخرج منيّ. اقترب ابني وأخي مني ،والحزن يكسو وجوههم. رحماك ربي، لم وضعوا ابني بهذا الموقف العصيب ،وهو لا يزال صغيرًا على تحمل هذا الأمر؟! الآن يجردونني من ثيابيّ ، والغريب أني لا أشعر بالبرد .أصبحت كأنهم يقطعون جسدي العضو تلو الآخر. أودع ملابسي في ألم وحزن . أتشممها قبل وضعها جانبًا ،فلا أشم سوى رياح غريبة على أنفي، رياح الجزع.

يأتيّ صوت المذياع بترتيل القرآن من ثنايا الباب ، فيخفف من حدة الموت عليّ. وبعد أن جردوني وضعوني في إناء كبير يحتوي جسدي بأكمله . وقاموا بصب الماء الدافئ فوقي ، بينما يتمتمون بأدعية وآيات ، تخفف من رهبتي. الماء ينساب كأنه فيضان يغسل ذنوبي وينقيها. أتساءل في استغراب عن سبب بكائهم الآن عليّ، وقد

كنت مريضًا بينهم وأنا حيّ فما تكفل أحدهم مرة بالسؤال عني ، بماذا يفيدني عويلهم الآن وقد انتهى كل شيء ؟ لم يعد لي حاجة عند أحد غير الله، فهو ملاذي الآن. اصمتوا ، فأنا أرغب في الهدوء والسكينة . ادعوا ليّ بالخير بدلًا من الصراخ والبدع هذه .

ها هم الآن قد أنهوا غسليّ . كل عوراتيّ قد ظهرت لهم ، و ضعفيّ، لكني لست خجول منهم؛ فأمامي لقاء مهم بربي. ترى هل سأنجح فيه؟

يحملوني كدمية لا إرادة لها، ل يكفنوني بلباس غريب ، كنت أظن أنيّ آخر من سيرتديه، لكن كانت النهاية سريعة ومباغتة علينا جميعًا. ترى هل فعلت شيء يستحق الراحة في الآخرة ؟

الآن يضعونيّ في صندوق خشبي فارغ ، ليس به أيّ شيء يذكر، حتى الزهور نسوا أن يأتوا بها معيّ ، فقد كنت أعشقها. لكنهم عطروني بعطر غريب على أنفي ، ونفاذ جدًا ، شممته من قبل حين كنت أودع الأموات، لكني لم أفكر يومًا أنه سيخرج من جسدي.

حملونيّ أخيرًا على الأعناق ،وخرجوا بيّ من الغرفة . كم أود المكوث في بيتي بعض الوقت، حتى أنعم به قبل الغربة الكبرى . تمنيت أن أصرخ فيهم لينتظروا ، فأنا من صنعت هذا البيت بتعب وعذاب، كيف أتركه اليوم لهم وأرحل؟!

أريد أن أودعه على الأقل كما يليق.

ابتعدوا بي عن بيتي ، ووضعوني على عربة لتجرنيّ إلى موقع الدفن . الرعب يملؤني . و ما هي إلا دقائق وسيغربون عنيّ.

فجأة نزل بحاملي الصندوق الرعب الممزوج بالفرحة والرهبة ، عندما تحركت داخل الصندوق الخشبي، فأوقفوا المسير، وفتحوا الصندوق ، وقالوا في صوت واحد:

الله أكبر!! لقد كتب الله لك عمرًا آخر، فماذا أنت فاعل؟ لكني ابتسمت لهم في صمت.

فيس بوك

تهيم بنا الحياة، فلا ندري بها إلا حين تصفعنا بألمها ،لتذكرنا بأن شيئًا ما قد تغير فينا، فتضحك علينا ، حتى نقهرها أو تقهرنا.

أصبحت غادة مدمنة للفيس بوك بطريقة غريبة ، حتى شغلها عن زوجها وأولادها، وعن اهتمامها بمظهرها. أصبحت كرضيع متعلق بأمه ،لا ينفصل عنها أبدًا.

منذ يومين ثارت على زوجها لأنه لم يدفع فاتورة الإنترنت، وبالتالي انقطع عنها. أشعلت النيران في الجميع ، حتى ضجروا منها. همس لها زوجها في أمل:

- أين حقنا فيكِ يا غادة؟ أين وعودك لي وحبك الذي تحاكى به الجميع أيام خطبتنا؟ أتذكرين كم كان يتهافت عليك الخطاب، وفضلتني على الجميع رغم تواضعي ومستواي المتوسط ؟ لقد وعدتيني أن أكون فارسك الأول ،وأميرك المطاع ،والآن انظري إلى أولادنا، رسبت ابنتنا شهد في مادة الحساب الشهر الماضي، وأكل ابننا أحمد الأسبوع الماضي أكلًا ملوثًا بسبب انشغالك عنه ، وارتفعن درجة حرارته . أفيقي يا غادة قبل أن نضيع منك. أفيقي قبل أن يأتي اليوم الذي لا ينفع معه الندم.

رفعت غادة بصرها من على حاسوبها الخاص ، نظرت بحب إلى زوجها باسل ، وقالت في تردد:

- تعلم يا باسل أني تعلمت في الجامعة وأخذت شهادتي بتفوق ، ومع ذلك رفضت أنت أن أعمل ، وجعلتني قطعة أساس في المنزل . إن الفيس بوك به عالمي، فأنا أعمل من خلاله ، ولدي الأصدقاء الذين يشعروني بقيمتي، أما أنت فلا تفكر إلا في خدمتي لكم ، فأين دورك أنت؟ ودور أولادنا؟ إن أولادنا يجب عليهم الاعتماد على أنفسهم . من العبث أن أتحول إلى جارية تلبي طلباتكم جميعًا، دون النظر إلى ما يشعرني بقيمتي في الحياة. أنا تعلمت وتخرجت من الجامعة لأجد ذاتي ،وليس لأكون لعبة في أيديكم ، ومع ذالك أعدك أن أقلل من متابعتي للفيس بوك للاهتمام بكم. ابتسم

باسل وربت على كتفها قائلا في حنان :

- اسمعي يا غادة ، سوف أدعك تخرجين للعمل كي تتخلصي من إدمانك للفيس بوك، لعل العمل يجعلك تهتمين بنا ،وتتذكرين أننا نحتاجك معنا.

هللت غادة فرحةً ، وراحت تحتضن باسل في حب ،غير مصدقة لما يقول ولملمت خصلات شعرها جانبا ،وطلبت من باسل أن يعيد على مسامعها ما قاله ، فأكد أنه موافق على خروجها للعمل ، لكن بشرط أن تتخلص من إدمان الفيس بوك ، وتتفرغ للعمل والبيت ، طالما أنه الحل الذي سيجعلها تعرف قيمة أسرتها.

نظرت غادة لحاسوبها في فرح وقالت :

-نعم يا باسل سوف أتخلص من الفيس بوك نهائيًا ، و أتفرغ لكم جميعًا ، طالما أنني سأعمل ، وسيكون لي كياني الخاص الذي يغذي عالمي وعقلي وكياني الاجتماعي.

ثم قامت بغلق الحاسوب ، وقامت لتعد لهم الغداء . وحاول باسل أثناء إعدادها للغداء أن يرفع الكمبيوتر، ويضعه في حجرة بعيدة عن متناول يد زوجته ،حتى لا تعود إليه مرة أخرى . كانت غادة تحمل أطباق الغداء المحملة بالجبن والخبز والمربى لأنها لم تعد الغداء كالعادة ،لإنشغالها بالفيس بوك . فقالت لباسل في حيرة:

- ماذا تفعل يا باسل ؟ أنا أريد أن أودع أصحابي على الفيس بوك قبل أن أغلق صفحتي.

- انظري إلى الأطباق التي في يدك ،إنها مليئة بالجبن والمربى التي أشبعتنا منها . لم تعدي الغداء كباقي النساء لحم وخضر وغيره، هذا أهم من توديعك للأصدقاء . صفحتك سوف تنغلق من نفسها بحكم عدم فتحك لها ، ومن الغد سوف نأكل غداءً محترمًا كباقي الناس العقلاء.

التف الجميع حول منضدة الطعام فرحين بقرار غادة ، وراحوا يقترحون عليها صنوف الطعام المختلفة التي لم يتذوقوها منذ فترة طويلة، بسبب إنشغالها بالفيس بوك .

ومرت الأيام ، وذهبت غادة إلى شركة قريبة لتعمل بها ، وانتظم الجميع في تناول غداءهم الذي طالما حلموا به ، إلى جانب تفرغ الأم لمذاكرتهم . وحان موعد أخذ رواتبهم الشهرية ، فرحت غادة بهذا الحدث ، فكرت في شراء هدية لتفرح بها وتسعد بها أولادها ، وأثناء الغداء سألوها جميعًا عن هديتها لنفسها ، وتوقع الجميع أنها تذاكر للسينما أو أدوات زينة لتبدو فاتنة، أو حتى لعب لهم تسعدهم بها، لكنها فاجأتهم - ابتسموا جميعًا كي ألتقط لكم صورة ، لنسجل فرحتنا المميزة هذه .

وإذا بهديتها عبارة عن تابلت أنيق ، وراحت تكتب في صفحتها الشخصية :
"عودة حميدة ، بعد أول راتب من عملي الذي وجدت فيه نفسي "
نظر الجميع لها في حزن وحيرة دون تعليق منهم.

كفاح

كم هى غريبة تلك الحياة حينما تضعنا في مكان لا يساعدنا على مواصلة الحياة بيسر وسلاسة .

أنا عامل على ماكينة خياطة في إحدى الشركات الخاصة ،واليوم هو موعدي مع راتبي الذي لا يتجاوز الألف جنيه ،وموعدنا أيضا أنا وأسرتي مع اللحم الشهري الذي لا يزورنا إلا مع زيارة المرتب . ها هى زوجتي واقفة أمام النار تطهي اللحم الذي اشترته من الجزار القريب من بيتنا المتواضع في الحي، بينما يتعالى صراخ ابني باسل الصغير في الصف الأول ، لأنه يشم رائحة اللحم فلا يطيق الصبر حتى ينضج اللحم ، وباقي أولادي أيضًا يلتفون حول مائدة الطعام منتظرين الغداء. تحاول زوجتي شغلهم حتى ينضج الطعام .

وضعت زوجتي طبق اللحم ، وطبق الشوربة الذي نعشقه جميعًا ،وافتقدناه منذ شهر، فتسارع الأولاد حول طبق اللحم ،يتخطفونه ، غير مهتمين بما يتساقط فوق الطعام من دهان سقف البيت القديم . بعد الغداء سارعت زوجتي بغسل الأطباق ، وترتيب البيت المكون من حجرتين، وبهو يجمعنا في أكلنا وسمرنا معًا ، وبعد الغداء يذهب الأولاد للعب في الشرفة ، ثم تأتني زوجتي بكوب يتطاير منه دخان الشاي الساخن ونحتسي سويًا الشاي ، ونحاول توزيع المرتب كعادتنا كل شهر على البقال والجزار وفواتير الكهرباء والماء وغيره ، فلا يتبقى لنا إلا نصف المرتب ، ليكفنا بالكاد باقي الشهر، ولا تنسى زوجتي أقساط شراء ملابس الأولاد من محل الحاج أحمد . هو رجل طيب يصبر علينا، ورغم أنه لا يقسط مبيعاته ، إلا أنه يقدر ظروفنا .

تصرخ زوجتي ، لأن المرتب لن يكفي لباقي الشهر، حتى مع ما تأخذه من عملها كخادمة . محمد ابني التلميذ بالصف الخامس الابتدائي يود شراء حاسوب ، لكي يلعب بألعابه المختلفة كالتي يراها في السايبر. أهدئه وأعده أني سوف أشتريه حينما يزيد راتبي .

يوم الجمعة ذهبنا في زيارة والديّ ، فرأيت دمعة حزينة في عين أبي ، فأنحيت الأولاد جانبا ، محاولا سؤال أمي عن سبب عبوس وجه أبي ، فحاولت تغيير الموضوع، لكني أصررت على معرفة الأمر. حينئذٍ أخبرتني في حزن أن صديق والدي وجارهم قد قررا الذهاب للحج للمرة الثالثة، و والدك حزين لأنه لم يزر بيت الله ولا مرة، يتمنى لمس الكعبة والصلاة أمامها ، وزيارة مسجد الرسول . ثم مسحت دمعة فرت منها على غفلة . احتضنت أبي مستغربًا حال الدنيا التي لا تعطي إلا الأغنياء. ولمَ لمْ يفكر صديق والدي في مساعدته للذهاب للحج ،طالما ذهب هو مرتين قبل ذلك؟ ألم يأمرنا الله بالتعاون على البر والتقوى ؟! حاولت طمأنة والدي بأني سأتعاون مع إخوتي لمساعدته للذهاب للحج .

عدنا للبيت أنا وزوجتي والأولاد بعد صراع نفسي، زافرًا زفرة مليئة بالحسرة على ما نمر به. لا أدري كيف سأساعد والدي على الذهاب للحج .اكتشفت أني لم أغلق الباب خلفي، فأسرعت زوجتي لغلقه . قالت زوجتي:

- سوف يفرجها الله يا سيد ،إن ربك كريم ، سيجملها بالستر.

لكن العيب فينا ، وليس في ستر الله . إن الله قد شرع لنا قوانين التعاون والحياة العادلة، فلمَ لمْ يلتزم البشر بهذا العدل الإلهي ؟

أطفأت زوجتي ضوء حجرتنا ،بعد أن اطمأنت على نوم أولادنا ، وتظاهرت بالنوم كي لا تضايقني، أما أنا قد ملأني الحزن بعد زيارة أبي ،فأبى النوم يزرني ، وبقيت ناظرًا لسقف حجرتي الذي تشوه من تساقط لونه. مرت علي ساعات الليل كالنار تشوي الضلوع، ليرن المنبه أخيرًا فيوقظ زوجتي . تفاجأت بأني ما زلت مستيقظًا . أخذت تطمأني بأن راتبي سوف يتحسن قريبًا ، وأن الله سوف يرضيني .

ارتديت ملابسي لأذهب إلى عملي ،الذي أمتهنه عن حب منذ ثلاث سنوات . أخذت أدعو الله أن يفرجها بأي شيء من عنده، لأفاجأ بأن مدير الشركة قد تخلى عني مع زمرة من العاملين .حاولت اقتحام مكتبه ،كي أطالب بحقي ، فمنعني الأمن ، وحاول زملائي تهدئتي بأننا سوف نجد عملًا خيرًا منه ، وأن هناك شركات أخرى كثيرة، لكن كيف والعمل الخاص لا أمان له ؟

مضيت بخطى ثقيلة ، ثم حاورت زميلي في حسرة:

- ماذا سأقول لزوجتي وأولادي وأبي الذي وعدته بأنه سيذهب للحج قريبًا.؟

أنا وزملائي

اليوم شديد البرودة جدًا ، تكاد رجلي أن تنخلع من شدة البرد. أصبحت كقطة بللها المطر، تبحث عن مكان لتختبئ تحته. ترى هل سيأتي زملائي لإصطحابي للمدرسة أم سيقولون إن الجو ممطر ومن الصعب الوصول بي للمدرسة ؟ أكره الشتاء لأنه يحرمني من الذهاب للمدرسة .

نسيت أن أعرفكم بنفسي أنا "مواهب" ، طفلة في المرحلة الابتدائية ، ضعيفة البصر، وعندي حول بعيني اليسرى ،وأحمد الله على كل شيء . لكن وجودي في قرية يجعل الأمر مرهقًا علي، ليس في نظرة الناس وحسب ،ولكن في الحياة نفسها، خصوصًا عند تساقط الأمطار. أذكر أنه في العام الماضي حدثت أمطار غزيرة ، وصممت أن أذهب للمدرسة ، لكن زملائي لم يأتوا لكي يوصلوني كعادتهم ، فقد تغيبوا خوفًا من سقوط المطرواتساخ ملابسهم وكتبهم المدرسية . ظللت أبكي وأصيح كدجاجة تبحث عن أولادها، بعدما ارتديت ملابس المدرسة وحدي، فأنا ماهرة أستطيع خدمة نفسي ، صحيح أنني أحيانًا أرتدي الملابس مقلوبة لصعوبة الرؤية ، لكن سرعان ما توبخني أمي بقسوة على هذا ، ولأني لا أضع النظارة الطبية التي كنت لا أضعها إلا في المدرسة لأرى الأشياء بوضوح . فعلا هى قاسية معي أعلم أنها تفضل إخوتي علي لأنهم في نظرها أصحاء ، صالحون لخدمتها وخدمة المجتمع أما أنا فعالة على الجميع في رأيها . هي لا تفكر في شيء غير إرضائهم. أخوتي ولدان ، وأخت صغيرة لا زالت طفلة ، فرحت أمي أنها أنجبتها بعد خيبتها فيّ لأني ضعيفة البصر، وحول عيني يشوه وجهي تمامًا . أسمعها كثيرًا تبكي وهى تعد الطعام في المطبخ ، أو عندما تكون جالسه في حجرتها تكفر بنعم الله وتعترض بشدة على حالي ، تقول في صوت منخفض حتى لا يسمعها أحد:

- لماذا يا ربي وهبتني ابنة كهذه تتعبني بخدمتها وملامحها الدميمة؟ وكيف سأجد

لها زوجًا عندما تكبر؟ لقد حلمت كثيرًا أن يهبني الله بنتًا جميلة سوية كي أزينها وأجعلها عروسًا جميلة، فلمَ وهبتني ابنة كهذه؟

هكذا كان اعتراض أمي ، لكنها كفت بعد إنجاب أختي الصغيرة عن الاعتراض على قضاء الله . سمع يومها أبي صراخي واصراري على الذهاب للمدرسة في هذا اليوم البارد، فأسكت أمي وقال لي:

- هيا يا مواهب، سأصطحبك أنا إلى المدرسة فلا تتضايقي . فرحت جدًا بقرار أبي وأخذني معه لمدرستي هذا الأب الطيب.

2- فرح

كانت زميلتي مرح تحبني كثيرًا، وكثيرا ما قالت لي إنها تود الجلوس معي في المقعد ، الأول لأني أرى السبورة بصعوبة . تشاجرت مع زميلاتي الجالسات بجانبي، كادت أن تجرحهن لولا تدخل المعلمة "مس منار" في حل المشكلة .وبختها بشدة وجعلت وجهها أحمر كالطماطم ، لكن لم تستطع أن تتشاجر مع المعلمة . حبست غيظها إلى أن خرجنا بعد انتهاء اليوم الدراسي ، انتظرت زميلاتي عند باب المدرسة وأطاحت بهم ضربًا ، حتى تقطعت ملابسهم وتطاير شعرهم ، وأصبح كفروع الشجرة في ليلة شتاء مليئة بالرياح . هي فتاة سمراء تلقي النكات علينا جميعًا فنضحك وننعم سويًا. ذات يوم كانت "مرح" تلعب في الفصل وقت الفسحة ،وراحت تقلد المعلمين والمعلمات في طريقة مشيتهم وطريقة معاملتهم لنا ، خصوصًا "مس منار" لأنها كانت تكرهها بسبب توبيخها لها دومًا. حاولت وقتها المداعبة ، وكنت واقفة خلف "مرح" وهى تقلد طريقة شرح "مس منار" ، فسحبت الكرسي من ورائها دون أن أحدث صوتًا ، حتى تقع حين تجلس ونضحك جميعًا . وفعلا حاولت مرح أن تجلس بعدما سحبت الكرسي فوقعت على الأرض ، وضحك الجميع في سعادة ما عدا "مرح"، حاولت أن تواري خجلها لكن دون جدوى.

(3) هيا

كانت هيا فتاة رقيقة وأنيقة من أسرة غنية ، خالها كان صحفيًا في جريدة الأهرام، وكثيرا ما كان يأتي لزيارتها في المدرسة . ذات يوم أتت "هيا" بزي مخالف لزي المدرسة ، ارتدت بنطلون جينز ضيق جدًا يظهر مفاتنها ، وبلوزة أنيقة صارخة الجمال ، وشعرها الأشقر الناعم تطاير برائحتها الذكية ، فقد كان جسد هيا فائرًا رغم أننا لا زلنا في المرحلة الابتدائة . والعجيب أني لم أغار منها، ورحت أهلل بجمالها ،وراح الأولاد يصفرون مغازلين إياها، حتى دخل "مستر نادر" فابتسم لها ،وحذرها في هدوء من تكرار فعل هذا، وقال لها عندما تذهبين للجامعة افعلي ماشئتِ بملابسك ومظهرك وتلوين خدودك. ضحكت قائلة في رقة :

- أشكرك يا مستر نادر على طيبة قلبك، ولن أكرر هذا ثانية.

كانت هيا تنال إعجاب الجميع وخصوصًا محمد الذي كنت أحبه في خيالي كثيرًا. ذات مرة كنا في فسحة اليوم الدراسي ، وكانت هيا تحمل معها طعاما كثيرا، أتت لمقعدي حيث كنت أجلس لا أتحرك كثيرًا، حتى لا أصطدم بأحد ، ووضعت طعامها أمامي لنأكل سويًا ، فأتى محمد مرحبًا بنا ، وفجأة استأذنت هيا لتغسل يدها ، وأتت الفرصة لأنفرد بمحمد:

- أراك معجبًا بهيا ، هل تحبها؟

ضحك بصوت مرتفع وقال:

يا مواهب ، أنا أحبكم جميعًا. أحب تميزك في الرسم ، وأحب تميز هيا في الدراسة. كلكم زميلاتي ،لا فرق بينكن.

ابتسمت من قلبي ،ورحت أحمد الله على فضله . وانصرف محمد ليشتري لي كوكاكولا ، لأنه يعرف أني أعشقها، وظللت أنظر إليه من خلف نظارتي حتى تعبت عيني، فطأطأت رأسي ومسحتها كي أرى.

(4) جنة

كانت جنة ناصعة البياض مثل لون اللبن ونور الصباح . قصيرة بعض الشيء. متميزة جدًا في الرياضيات التي كنت أكرهها بشدة ، ودائمًا أخشى الرسوب فيها ،لكن الله ستر.

في إحدى الأيام طلب منا مدرس الرياضيات حل مسألة صعبة جدًا، وكانت "جنة" موهوبة في الرياضيات . هي الوحيدة من استطاعت حل المسألة . فرح بها المدرس وراح يداعبها أمام الجميع، فكان يصادقها ويعاملها معاملة الكبار رغم صغر سنها ،وكانت تتدلل عليه حتى البكاء. وكان الجميع يكره هذا الدلال، لأنها كانت تستحوذ على عقل مدرس الرياضيات جدًا ،إلى جانب ضياع وقت الحصة في إرضائها .

وفي اليوم التالي أتت جنة وهي تنتظر مدرس الرياضيات كي يصالحها ،وتضيع معه وقت الحصة ،لكن أحد المدرسين دخل بدلًا منه وأخبرنا أنه مات إثر حادث، وأنا مدرسكم الجديد، فطأطأت جنة رأسها في وجوم.

(5) حازم

كان حازم ولدًا أسمر، ممشوق القوام، له جاذبية خاصة . كان دائمًا ما يقوم بمرافقتي أثناء الذهاب للمدرسة ، فقد كان يحبني كثيرًا . لا أعرف سر انجذابه لي ، لكني كنت أعتبره زميلًا عاديًا. كان طيب القلب ، ودائمًا ما يرسل لي ساندوتشات المربى في الفسحة مع زميلاتي ، لأنه كان يخجل من تقديمها لي مباشرة كي لا أرفضها . لم أكن أحب المربى ، إنما أعشق الجبن . يضحك زميلاتي ويأكلنها ويقولون له إن مواهب أكلتها جميعًا . ويتكرر هذا يوميًا ، حتى مللت من هذا الأمر ، طلبت من زميلاتي أن يخبروه أني لا أحب المربى، وأني أعشق الجبن ، وأن عليه أن يغير هذه السندوتشات. وأتى زميلاتي في اليوم التالي يضحكون بشدة ، وأخبروني أنهم أخبروا حازم بأني أعشق الجبن، فضحك حازم وقال:

- ولكني أرسل لها المربى لأنها حلوة مثلها ، ولذيذه كطعمها .

فتحت لفافته ، فأصابني شيء من السعادة لا أعرف سببه . وجدت ثلاثة سندوتشات مربى ،وثلاثة سندوتشات جبن. وزعت سندوتشات الجبن على زميلاتي ، ورحت آكل سندوتشات المربى لأول مرة بكل حب واستطعام...

تمت بحمد الله (9_6_2016)

المحتويات

نظرة.....ص5

رسائل حائرة.....ص7

تفسير الشعراوي.....ص9

رقصة الوداع.....ص11

شجرة الموز.....ص14

السيدة ريناد.....ص16

إدمان.....ص18

اختبار.....ص20

رائحة الموت.....ص24

عريس دليفري.....ص28

مظاهر.....ص31

رحيق.....ص34

جارنا الأمامي.....ص37

الخادمة.....ص40

ضياع.....ص42

حلم ورقة.....ص45

ماسحة الأحذية.....ص47

كن صديقي.....ص50

مراقبة.....ص54

إرادة ص57

قلم وممحاة.....ص59

قطعة لحم.....ص61

وحدة.....ص63

الوداع الأخير.....ص65

فيس بوك.....ص67

كفاح.....ص70

أنا وزملائي ص72

معلومات عن الكاتبة

*خريجة كلية البنات عام قسم لغة عربية تعمل مدرسة للمرحلة الاعدادية ومذيعة براديو باند.

- فازت في مسابقة الزجل لمجلة صباح الياسمين الأدبية بالمركز الثاني مقرر

- فازت أربع مرات بالمركز الأول لمسابقة القصة الومضة التي ينظمها الأديب مجدي شلبي المسابقة اليومية

- فازت بالنشر في دار ليان وضاد وقلمي

- صدر لها ورقيًا مجموعة الرداء الأحمر عن دار ابداع للنشر والتوزيع عام 2016

- صدر لها كتب جماعية مثل كتاب بداية وحلم وعندما يسكت زوربا

- تنشر في موقع طفرة جوز وموقع ورقة دوت كوم

&&& للتواصل مع الكاتبة على الفيس بوك

https://www.facebook.com/smile.flower.169

/